

١ - البُعْد الآخر ..

احضنت (سلوى) ابنتها (نشوى) في حرارة ،
وتحسّست شعرها في حنان ، وهي تقول لزوجها الرائد
(نور) :

— انظر كم نمت (نشوى) يا (نور) .. إنها تبدو فاتنة
في عامها التاسع .

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

— هذا صحيح .. لقد أدهشني ذلك التحول في شكلها ،
بعد عودتنا من (أرغوران) (*) .

ضحكت (نشوى) ، وهي تقول :

— هذا طبيعي يا أبى ، بعد أن تغيبنا عنى عامين كاملين .

عادت (سلوى) تتحسّس شعر ابنتها في حنان ، وهي
تقول :

— إننا لم نشعر بذلك يابنتى الحبيبة ، لقد تغيبنا في
(أرغوران) ثلاثة أسابيع فحسب ، ولم أتصوّر أبداً أن هذه
المدة تساوى عامين على كوكب الأرض .

(*) راجع قصة (جحيم أرغوران) .. المغامرة رقم (٥٩) .



سلوى



نور الدين



محمود



رمزى

ابتسم (نور) ، وقال وهو يتأمل ابنته في حنان :
— إن اليوم في (أرغوران) يساوي يومًا أرضيًا تقريبًا
يا (نشوى) ، ولكن السفينة الفضائية التي كنا نستقلها ، في
رحلتى الذهاب والعودة ، كانت تنطلق بسرعة تفوق سرعة
الضوء .. وطبقًا لنظرية النسبية للعالم (ألبرت أينشتين) ،
فالسفر بتلك السرعات الفائقة يجعل الزمن يتقلص و
قاطعته ابنته في مرح :

— والكتلة تتزايد ، والحجم ينقص .. إننا ندرس ذلك في
المدرسة يا أبى .

ضحك (نور) ، وهو يقول :

— معذرة .. لم أنتبه إلى ذلك ، فلقد كنا ندرس ذلك في
المرحلة الثانوية في عصرى .

ابتسمت (سلوى) ، وهى تقول :

— العلم يتقدم دومًا يا (نور) ، ولكنك تتحدث على نحو
يجعلنى أشعر وكأننا قد أصبحنا شيوخي .

ضحك في مرح ، على حين سألته ابنته في اهتمام :

— هل يعنى هذا أن أبنائى قد يدرسون النظرية النسبية في

مرحلة الحضانة ؟

تبادل نظرة مرحة مع (سلوى) ، وابتسم وهو يقول :
— من يدري يا بنيتى ؟ .. قد لا يدرسونها على الإطلاق ،
إلا كنظرية أثرية قديمة .
سألته ابنته في شغف :

— هل يتقدم العلم بسرعة إلى هذا الحد ؟

لوح (نور) بكفه ، قائلاً :

— بل أسرع مما نتصور يا (نشوى) .. لقد غادرنا أنا

وأأمك ، و (رمزي) و (محمود) كوكب الأرض عام ألفين
وثمانية ، وحينما عدنا إليه كانت نتيجته تشير إلى عام ألفين
وعشرة .. وعلى الرغم من أن فترة غيابنا لا تتجاوز العامين ،
إلا أننا بذلنا جهدًا للتكيف مع ذلك التقدم العلمى المذهل ،
الذى حدث في هذين العامين .

ثم تطلع إلى ساعته ، وهو يستطرد في اهتمام :

— مثل كَوْن (مشيرة) زوجة (رمزي) ، قد أصبحت
رئيسة لصحيفة (أبناء الفيديو) .

ضحكت (سلوى) ، وهى تقول :

— لماذا استخدمت ذلك المثال بالذات ، وأنت تطلع إلى

ساعتك ؟

نهض (نور) ، وهو يقول :

— لأن (مشيرة) ستجري حديثاً هاماً بعد أقل من ساعة ،
مع عالم مصري معروف ، يقول إن لديه كشفاً مذهلاً ، ولقد
دعنا لحضور اللقاء .

هتفت (سلوى) في اهتمام :

— يا إلهي !!.. هذا صحيح .. كدت أنسى .

ثم مالت نحو (نشوى) ، قائلة :

— ستكونين وحدك يا (نشوى) ، وأريد منك أن
تستذكرى دروسك على جهاز الكمبيوتر الخاص بك ،
وآلا

قاطعتها (نشوى) ضاحكة :

— وآلا أشاهد الهولوفيزيون ، إلا في أوقات الفراغ ، وآلا
أمارس ألعاب الهولوفيديو .. حسناً يا أمي .. لقد حفظت
ذلك .

داعبت شعر ابتها ، ونهضت وهي تقول :

— حسناً أيتها المتحدقة ، حافظي على التعليمات إذن ،
مادمت تحفظينها ، وسأحاول أنا ووالدك ألا نتغيب كثيراً .
ولكنها لم تحفظ وعدّها ، فقد تغيبت هي و (نور) كثيراً ..
في عالم آخر ..

تنحنحت (مشيرة محفوظ) في اهتمام ، وهي تختبر صوتها
في أجهزة التسجيل الجسم ، قبل بدء اللقاء ، على حين وقف
(نور) و (سلوى) و (رمزي) و (محمود) يتأملون العالم
المصري ، الدكتور (فؤاد منصور) ، الذي انهمك في إرشاد
معاونيه ، وهم يدفعون جسماً مسطحاً ، مغطى برداء سميك ،
إلى منتصف القاعة ، التي اختارها لتسجيل اللقاء ، وابتسم
(رمزي) ، وهو يقول :

— عجيب !!.. هذا الكشف العظيم يبدو لي أشبه بلوحة
عادية .

هزت (سلوى) كفيها ، وهي تقول :

— لا تتسرع في الحكم على الأشياء يا (رمزي) ، فقد
يكون ذلك الكشف مذهلاً فعلاً .

مطأ شفثيه دون أن يجيب ، والتفت إلى زوجته (مشيرة) ،
التي اتجهت نحو الدكتور (فؤاد) ، وأشارت إلى الجهاز
المغطى ، قائلة :

— هل يمكننا رؤية الجهاز الآن ؟

أجابها الدكتور (فؤاد) في صرامة :

— كلاً .. ليس قبل بدء التسجيل .

عقدت (مشيرة) حاجيها ، وهى تقول فى حزم :
— لاحظ أنا سنذيع البرنامج على الهواء مباشرة ، وأية
أخطاء قد تعنى

قاطعها الدكتور (فؤاد) فى حزم :

— لن تحدث أية أخطاء .

مطت (مشيرة) شفتها السفلى فى غضب ، ثم استدارت
إلى معارنيتها ، قائلة فى حدة :
— هيا .. سنبدا البث .

غمزت الأضواء القاعة على الفور ، وساد الصمت التام ،
ثم أشار مخرج البرنامج : معلنا بدء البث ، فرسمت (مشيرة)
على شفتها ابتسامة جذابة ، وهى تقول :

— سيّداتى أنساتى سادق .. موعدكم الآن مع برنامجكم
(العلم الحديث) .. وسنلتقى اليوم مع الدكتور (فؤاد
منصور) ؛ ليعلن عن كشفه الجديد .

لم تكذ تتوقّف حتى بدأ الدكتور (فؤاد) حديثه على
الفور ، قائلاً :

— نظريتي تقول إنه هناك عشرات العوالم ، التى تتعايش
معنا ، وتحتل نفس الفضاء الذى يحتله عالمنا ، ولكننا لا نشعر
بتلك العوالم ، ولا نشعر هى بنا ؛ لأن كلاً منّا يحيا فى ذبذبة
مختلفة .

سألته (مشيرة) فى اهتمام :

— ما الذى يعنيه ذلك بالضبط يا دكتور (فؤاد) ؟

عدّل منظاره الطبّي ، وهو يجيب فى انفعال :

— هل تعلمين لماذا لا نرى الأشعة دون الحمراء ، أو فوق

البنفسجية ؟ .. إننا نعجز عن ذلك ؛ لأن طولهما الموجى يزيد
أو ينقص عن الطول الموجى الذى ترصده أعيننا .. هذه هى
نفس نظرية الذبذبة المختلفة .. إننا نرى ونشعر بكل الأجسام
المادّية فى عالمنا ، لأنها تشترك جميعها فى ذبذبة متقاربة ..
أما لو زادت هذه الذبذبة ، أو نقصت كثيراً ، فلن نرى
الأشياء ، أو نسمع بها ، أو حتى نحسّها ؛ لأنها — باختصار —
ستفقد طبيعتها المادّية بالنسبة لنا و

استوقفته (مشيرة) ، وهى تسأله فى دهشة :

— لحظة يا دكتور (فؤاد) .. هل تعنى أننا لو جعلنا ذبذبة

جسد رجل ما ، تصل إلى ذبذبة أعلى أو أقل مما يمكننا الشعور
به ، فإن هذا الرجل يختفى ؟

هزّ رأسه نفيًا ، وهو يقول .

— لن يختفى ، ولكنه سينتقل إلى بُعد آخر ، يكون فيه مرئيًا

مادّيًا ، أمّا فى عالمنا فهو سيفقد كيانه المادّي تمامًا ، وهو لن

يرانا ، كما أننا لن نراه .. باختصار ، يبدو كأنه قد انتقل
بغثة إلى عالم آخر .. ولكن

صمت لحظة عند تلك النقطة ، مما جعل المشاهدين في كل
أنحاء البلاد يتلهفون لسماع استطراده ، قبل أن يتابع :

— ولكننا لم نجر تجاربنا بعد على الأجسام الحيّة ، ولنا
ندرى تأثير التغير المفاجئ في الذبذبة عليها .

هزت (مشيرة) رأسها في خيرة ، وهي تغمغم في ريبة :
— هذا الأمر يبدو لي عجيباً ومخيفاً في الوقت ذاته يا دكتور

(فؤاد) .

هزّ الدكتور (فؤاد) كفيه ، وهو يقول في بساطة :

— لماذا ؟ .. إن العلم يقول إننا لو وضعنا شخصاً ما ، داخل
حجرة مغلقة ، وغمرنا تلك الحجرة بالأشعة دون الحمراء ،
وأطلقنا فيها صفيراً عالياً ، من ذبذبة فوق صوتية ، فإن الحجرة
ستبدو له مظلمة صامتة ، على الرغم من أنها ليست كذلك
أبداً ، ولكن عدم شعوره بما حوله لا يعني عدم وجوده .

ثم أشار إلى معاونيه ، فنزعوا الغطاء عن جهازه ، وشعرت
(مشيرة) ، وشعر ملايين المشاهدين بخيبة أمل ، حينما رأوا
ذلك الجهاز ، الذي كان عبارة عن إطار مستطيل ، مفرغ من

الداخل ، يمتلئ بالأزرار والمؤشرات ، فغمغمت (مشيرة) في
إحباط :

— أهذا هو الكشف العظيم ؟

عقد الدكتور (فؤاد) حاجبيه ، وهو يقول في حدة :

— هذا الإطار البسيط الذي ترينه ، هو أول جهاز في العالم

لتبديل الذبذبة ، وفتح ثغرة بين بعدنا وأى بُعد آخر .

ثم اتجه نحو الإطار في عصبية ، وضغط بضعة أزرار في إطاره

بعشوائية ، وهو يستطرد :

— ويمكنكم رؤية تجربة واضحة .

ابتعد عن الجهاز ، الذي ظل ساكناً لحظة ، ثم امتلأ الفراغ

الداخلي له بشرارات كهربية متطايرة ، قبل أن تبدو داخله

زهرة جميلة ضخمة ، يبلغ طولها متراً كاملاً ، ويصل حجمها

إلى حجم صبي صغير ، وهتف الدكتور (فؤاد) :

— انظروا .. ها هي ذى صورة من بعد آخر .

غمغمت (مشيرة) في ريبة :

— ولكنها تبدو لي مجرد صورة هولوغرافية مكبرة يا دكتور

(فؤاد) .

هتف الدكتور (فؤاد) في سخط :

— صورة هولوغرافية؟! .. أبعد سنوات من الجهد والعمل ، تقولين إنها مجرد صورة هولوغرافية ؟

ارتبكت (مشيرة) لغضبه ، ولم تجد وسيلة لتغيير مجرى الحديث ، الذي يَبْتُ على الهواء مباشرة ، سوى أن التفتت إلى حيث يقف (نور) ورفاقه ، قائلة في سرعة :

— من حُسن الحظ أنا نستضيف الليلة المهندسة (سلوى) ، خيرة الاتصالات والتَّبع ، ويمكنها أن تُدلي برأيها في هذا الكشف .

ارتبكت (سلوى) ، وغمغمت :

— (نور) !.. إن (مشيرة) تورطني في الأمر .. لست مستعدة لمناقشة هذا الآن .

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

— أنت مستعدة دوماً يا زوجتي العزيزة .

عقدت حاجبها في ضيق ، ثم حسمت أمرها ، واتجهت إلى حيث (مشيرة) والدكتور (فؤاد) ، ولم تكده صورتها تظهر على شاشات الهولوفزيون ، حتى سألتها (مشيرة) في اهتمام :

— هل ترين هذا الكشف ممكناً ؟

تردّدت (سلوى) لحظة ، ثم أجابت وهي تتطَّلَع إلى صورة الزهرة الضخمة :

— إن ما ذكره الدكتور (فؤاد) منطقيٌ للغاية و... لم يسمع (نور) باقي عبارتها ، فقد تعلق بصره بمصباح ضخمة ثقيل ، فقد توازنه بغتة ، وهوى في خطٍّ مستقيم ، نحو رأس (سلوى) مباشرة ..

وصرخ (نور) في جزع :

— ابتعدى يا (سلوى) .

ثم اندفع بأقصى سرعة نحو زوجته ، وأحاط جسدها بذراعيه ، واندفع الاثنان نحو فراغ الإطار ..

وتألق المكان كله ببريق رهيب ، وارتجَّ الإطار في قوَّة ، وتصاعدت أبخرة كثيفة من أزراره ، وصرخ جميع من بالقاعة ، وملايين المشاهدين ، الذين تابعوا المشهد على الهواء مباشرة .. ثم هدأ كل شيء فجأة ، واختفت صورة الزهرة الضخمة من الإطار ..

واختفى كذلك (نور) و (سلوى) ..

اختفيا تماماً ..

٢ - عالم العمالقة ..

آلام رهيبية ، تلك التي شعر بها (نور) و (سلوى) ، حينما
عَبَرَا ذلك الإطار ..

كل خلية من خلاياهما صرخت في ألم ..
كل قطرة دم في عروقهما انتفضت في عذاب ..
كل فكرة ، أو ذكرى ، تجمّدت ، وتحوّلت إلى هباء
منثور ، وسط ظلام دامس ..

وفجأة .. انتهى كل شيء ، ونهاوى جسداهما ، وارتطما
بأرض ليّنة .. ثم غابا عن الوعي تمامًا ..

لم يدر كل منهما كم غاب عن الوعي ، إلا أنهما حينما
استيقظا ، كانت الشمس قد غربت على التوّ ، مخلفة شفقا
متلوّنا رائعا ، وظلالا ضخمة رهيبية ..

وغمغمت (سلوى) في ألم وخوف :

— ماذا حدث ؟ .. أين نحن يا (نور) ؟

تطلّع إلى الأزهار الضخمة ، التي تحيط بهم ، والتي يبلغ
طول الواحدة منها ما يقرب من المتر ، قبل أن يغمغم في توثر :

— يلوح لي أننا قد انتقلنا إلى ذلك البعد الآخر ، الذي



ثم اندفع بأقصى سرعة نحو زوجته وأحاط جسدها بذراعيه ، واندفع

الاثنان نحو فراغ الإطار ..

كان الدكتور (فؤاد) يتحدث عنه يا (سلوى) .

اتسعت عيناها في دُعر ، وهي تغمغم في ارتياح :
— بُغد آخر !؟

وتطلعت بدورها إلى الأزهار الضخمة ، ثم غمغمت في
توثر بالغ :

— يا إلهي !! .. يبدو أن هذا صحيح يا (نور) !!
رَأَى عليهما صمت مشوب بتوثر بالغ ، وهما يفحصان
بصريهما هـ حولهما ..

كان كل شيء يبدو ضخماً ، عملاقاً ..

الأزهار لا يقل طولها عن المتر ..

أوراقها تبلغ نصف هذا الطول تقريباً ..

حتى الرمال والحصى .. كلها بالغة الضخامة ..

وارتجف صوت (سلوى) ، وهي تغمغم في رُغب :

— (نور) .. كم يبلغ حجم مخلوقات هذا البُغد ؟

رَبَّتْ على كنفها ، محاولاً تهدئتها ، وهو يقول :

— ربّما لا توجد هنا أية مخلوقات يا عزيزتي .. لعل هذا

البعد كله نباتي و.....

بتر عبارته بغتة ، وهو يحدّق في نقطة ما خلفها ، واتسعت

عيناها على نحو أثار دُعرها ، وجعلها تلتفت في سرعة إلى حيث
ينظر ..

وانتفض جسد (سلوى) في رُغب ، وانطلقت من حلقها
شهقة مختنقة ، وجحظت عيناها في ارتياح ، وخفق قلبها في
فزع ، وهي تحدّق فيما رآه (نور) ..

ومن العجيب أن ما وقعت عليه عيونها ، وما أثار كل هذه
الانفعالات في أعماقها ، كان مجرد قِطْ ..
قِطْ في حجم خرتيت هائل ..

لم يكد (نور) و (سلوى) يختفيان بغتة ، داخل قاعة

التصوير ، حتى هوى ذلك المصباح الضخم ، الذي كان

سيسقط على رأس (سلوى) ، فوق إطار الدكتور (فؤاد) ،

وشقّ قائمه العلوي إلى نصفين ، فتهاوى الإطار كله أرضاً ،

وقفزت من أجزائه المحطّمة شرارات كهربية مخيفة ، لم تلبث

أن حَبَّت ، مع اشتعال النيران في أجزاء الإطار ..

واندفع الجميع ، وعلى رأسهم (رمزي) و (محمود) ،

يطفئون النيران المشتعلة ، على حين تسمّر الدكتور (فؤاد)

و (مشيرة) في مكانيهما ، حتى حَبَّت النيران ووقف الجميع

يتطلعون في دُهور إلى أجزاء الإطار المحطّم ، قبل أن يتزع
(رمزي) نفسه من ذلك الدهول ، ويندفع نحو الدكتور
(فؤاد) ، ويجذبه من سترته في عنف ، صائحا :

— أين (نور) و (سلوى) ؟ .. إلى أين أرسلهما إطارك
اللّعين هذا ؟

تخلّص الدكتور (فؤاد) من قبضتي (رمزي) في جِدّة ،
وتراجع في فزع ، وهو يهتف :

— لست أدري .. لست أدري .

جذبه (رمزي) من سترته مرّة أخرى في عنف ، وهو
يصيح في غضب :

— ماذا تعني بأنك لست تدري بحق السماء ؟ .. إنك أنت
صاحب ذلك الكشف ، وأنت وحدك تعلم ماذا حدث
لها ! ..

أفاقت (مشيرة) من دهورها في تلك اللحظة ، فصاحت
في عصبية :

— أوقفوا البثّ .

تنبّه معاونوها إلى أنهم مازالوا يثّون كل ما يحدث على
الهواء ، فأسرعوا يُوقفون البثّ ، ثم التفتوا إلى الدكتور
(فؤاد) ، الذي بدا شديد العصبية ، وهو يهتف :

— أنا عالم ، ولست مُنجمًا .. ثم إنني لم أكن أتوقّع حدوث
أى إرسال إلى ذلك البعد الآخر ، الذي اخترته عشوائيًا .
صاح (رمزي) في غضب ، وهو يجذبه إليه مرّة أخرى
في عنف :

— أيها الحقير ..

استوقفه (محمود) ، وهو يهتف في توّثر :

— كفى يا (رمزي) .. إننا لن ننجز شيئًا بتلك الوسيلة .
التفت إليه (رمزي) في جِدّة ، وبدا لحظة أنه سينفجر في
وجهه أيضًا ، إلا أن عقله لم يلبث أن احتلّ مركز الصدارة وسط
انفعالاته ، فلانت ملامحه ، وترك سترة الدكتور (فؤاد) ،
وهو يغمغم :

— أنت على حقّ ..

رَبّت (محمود) على كتفه في تعاطف ، واندفعت
(مشيرة) نحوه ، في محاولة لتهدئة انفعالاته ، على حين التفت
(محمود) إلى الدكتور (فؤاد) ، يسأله في اهتمام مشوب
بالقلق :

— قل لي يا دكتور (فؤاد) ، ما الاحتمالات العلمية لما
أصاب (نور) و (سلوى) ؟

تردّد الدكتور (فؤاد) لحظة ، ثم غمغم :

— إن مهمة إيطاري هي تبديل الذبذبة داخله ، بحيث تلام ذبذبة أى بُعد آخر اختاره .. وفي تجاربي العملية ، كنت أنجح في نقل المواد الصلبة من عالمنا إلى أى بُعد مخالف ، دون أن يصيبها أدنى تلف .

سأله (محمود) في قلق :

— هل تعنى أن (نور) و (سلوى) قد انتقلا إلى بُعد آخر ؟

تردّد مرّة أخرى ، ثم هزّ كتفيه مغمغماً :

— هذا احتمال قائم .

عقد (رمزى) حاجبيه ، وهو يسأله في جدّة :

— ماذا تعنى بأنه احتمال قائم ؟ .. إن إجابة عالم مثلك ، على مثل هذا السؤال ، ينبغى أن تكون محدودة بـ (نعم) أو (لا) فحسب .

طال تردّده هذه المرّة ، وهو ينقل بصره بين الوجوه ، قبل أن يغمغم :

— في الواقع .. لقد أجرينا بعض التجارب على الكائنات الحيّة .. أغنينا حيوانات التجارب بالطبع و

قاطعته (رمزى) في انفعال :

— وهل كانت تنتقل إلى البعد الآخر سالمة ؟

غمغم الدكتور (فؤاد) في خفوت :

— نعم .. ولكن

صاح به (محمود) ، وقد فقد سيطرته على أعصابه

بدوره :

— ولكن ماذا ؟

أطلّ الفرع من عيني الدكتور (فؤاد) ، وهو يجيب في

خفوت :

— ولكن أجسادها كانت تنهار فجأة ، داخل ذلك البعد

الجديد و

وخفض رأسه ، وهو يستطرد في مرارة :

— وتموت ..

تراجع (نور) و (سلوى) أمام تلك الهرة العملاقة ،

التي راحت ترمقهما بعينها الواسعتين في حذر وفُضول ، وتمدّ

مخالبها نحوهما ، وكأنما تحاول اختبار ردود أفعالها ، كما تفعل مع

أى فأر صغير ، وغمغمت (سلوى) في ارتياح ، وهي تحدّق

في أنياب الهرة الضخمة :

— إنها ستلتهمنا يا (نور) .. إنها تتعامل معنا كما لو كنا
فيران .

استل (نور) مسدسه الليزري ، وهو يقول في صرامة :
— سئبت لها أننا لسنا كذلك يا (سلوى) .

وصوب مسدسه نحو رأس الهرة ، ثم أطلق أشعته ،
فراجعت الهرة في فزع ، وهي ثموء في ألم ، بعد أن احترقت
الأشعة أذنها ، وثقبتها .. وعادت تتطلع إلى (نور)
(سلوى) في غضب ، وهي تُزفجر في توثر ، ثم تراجعت
بِعجزها وأبرزت مخالبها ، وفتحت فكها ، فصرخت
(سلوى) :

— إنها ستقتض علينا يا (نور) .
ولكن (نور) أطلق أشعته الليزرية مرة .. ومرة ..
ومرات ..

وانتفض جسد الهرة في ألم ، بعد أن احترقت الأشعة
جسمتها ، وأذابت خلايا مخها .. وهوت جثة هامدة ، مثيرة
عاصفة من الحصى والغبار في وجهي (نور) و (سلوى) ،
الذين سقطا أرضاً ، وظلاً ساكنين حتى هدأ كل شيء ..

ونفض (نور) ، وهو ينفض عشرات الحصى الصغير عن
جسده ، وعاون زوجته على النهوض ، وهي تهتف لي ألم :
— لقد انتقلنا إلى عالم من العمالقة يا (نور) .. إننا لن
ننجو أبداً .

احتضنها في حنان ، محاولاً امتصاص انفعالها ، وهو يربت
على رأسها مغمغماً :

— لقد حُضنا ما هو أكثر هولاً من هذا يا عزيزتي ، وكما
نجونا سابقاً ، سننجو هذه المرة بإذن الله .

بكت (سلوى) في حرارة ، وهي تقول :
— ولكننا هذه المرة مجرد أقزام ، في عالم من العمالقة
يا (نور) ، لا نملك حولاً ولا قوة .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول في حزم :
— القوة لا تقاس بالحجم يا عزيزتي ، فالفيروس كائن بالغ
الدقة ، لم يُمكننا رؤيته ، أو دراسته ، إلا بعد اختراع المجاهر
الإلكترونية ، والأيونية .. وعلى الرغم من ذلك ، فقد هزم
الجبابرة والعظماء ، على مر التاريخ والعصور .

غمغمت (سلوى) في مرارة :
— الفيروس يملك خواصاً ووسائل فعالة يا (نور) ..
أما نحن

قاطعها (نور) في حزم :

— نحن نملك الحزم والإرادة والعقل .

صاحت (سلوى) في عصبية :

— وهل تظن أن هذا العالم لا يحوى سوى الزهور والقِطط

فحسب ؟ .. ألم يخطر ببالك أنه يحوى مخلوقات عاقلة مثلنا ،

ولكنها أكبر حجماً و

قاطعها (نور) محاولاً بث الطمأنينة في قلبها :

— هذا لم يثبت بعد يا عزيزتى و

لم يعم عبارته هذه المرة ..

ليس لأنها قاطعته ، ولكن لأنَّ قدماً بشرية هائلة حطت إلى

جوارهما في اللحظة ذاتها ، وغمرهما ظل ضخم رهيب ،

جعلهما يرفعان رأسيهما إلى أعلى ، ويتطلَّعان في دُعر إلى وجه

بشرى لطفلة صغيرة ، في حجم بناية ضخمة ، تتطلع إليهما

في دهشة ، ثم تنحنى ، وتمتد نحوهما يداً في حجم فيل ضخم ..

صاح (نور) ، وهو يجذب زوجته في قوَّة :

— اجرى يا (سلوى) .

انطلقا يَعدوان في دُعر ، وسط الأزهار العملاقة ، إلا أن

الطفلة الضخمة حطت خطوة واحدة ، واعترضت طريقهما

بقدمها ، ثم انحنت في سرعة ، وأمسكت (سلوى) بقبضتها

اليمنى ، فصرخ (نور) في ألم ومرارة :

— كلاً .. ليس (سلوى) .. ليس (سلوى) .

ولم يقاوم حينما انحنت الفتاة ، وأمسكته يُسراها ، ورفعته

إلى عينيها ، وهي تبسّم في فرح طفولى ..

ثم ألقته الطفلة العملاقة في جيب ثوبها ، وألقت خلفه

(سلوى) ، وارتطم الاثنان ببعضهما البعض ، وأظلمت الدنيا

أمامهما ، ثم غابا عن الوعي ..

في أرض العملاقة ..



٣ - اللّعبة ..

« دعونا نستعرض الأمر في هدوء ومنطقية أيها
السادة .. » ..

بذل (محمود) جهدًا كبيرًا لينطق تلك العبارة في نبرات
هادئة ، محاولًا امتصاص التوتر الذي يملأ المكان ، قبل أن
يستطرد ، موجهًا حديثه إلى الدكتور (فؤاد) :
- سنفترض أن (نور) و (سلوى) قد انتقلا إلى بُعد
آخر بالفعل ، وأنهما قد بلغاه سالمين ..

السؤال الآن هو : كيف يمكننا إعادتهما إلى هنا ؟
هزّ الدكتور (فؤاد) رأسه في أسف ، وهو يغمغم :
- هذا مستحيل منطقيًا وعمليًا .

عقد (رمزي) حاجبيه ، وهمّ بالصياح في وجه الدكتور
(فؤاد) ، فأسرع (محمود) يقول :

- لقد علمتنا تجاربنا السابقة أنه لا وجود للمستحيل
يا دكتور (فؤاد) ، وأنه ليس من الضروري أن تضمن
النصر .. المهم أن تسعى إليه بكل ما تملك من قوّة ، ثم تترك
النهاية لله (سبحانه وتعالى) وخذّه .



واعترضت طريقهما بقدمها ، ثم انخبت في سرعة ، وأمسكت (سلوى)
بقبضتها اليمنى ..

هز الدكتور (فؤاد) كفيه ، وهو يقول :
— هذا صحيح ، ولكن عودتهما إلى هنا تحتاج إلى مجموعة
شروط معقدة .

سأله (رمزي) في حدة :

— مثل ماذا ؟

أشار الدكتور (فؤاد) إلى الإطار المحطم ، وهو يقول :
— لا بد من صنع إطار آخر أولاً .

أجابه (محمود) في حماس :

— أعطنا التصميمات النهائية ، وأنا أضمن لك أن يجند
الدكتور (عبد الله) ، مدير مركز الأبحاث ، التابع لإدارة
التحريات العلمية المصرية ، كل رجاله ؛ لصنع إطار آخر ، في
أقصر وقت ممكن .

بدا الاهتمام على وجه الدكتور (فؤاد) ، وهو يقول :

— ثم إنه علينا أن نعرف تردد ذبذبة ذلك البعد الآخر ،

الذي اخترته عشوائياً .

هفت (مشيرة) في حماس :

— ليس هذا بالأمر العسير ، فالبرنامج مسجل ، ويمكننا

إعادة البث ، ومعرفة ترتيب الأزرار التي ضغطتها .

بدأ الحماس يتسلل إلى الدكتور (فؤاد) ، وهو يقول :

— رائع .. في هذه الحالة تبقى أمامنا نقطة واحدة .

سأله (رمزي) في انفعال :

— ما هي ؟

فتح شففيه وكأنه يهيم بالإجابة في حماس ، ثم لم يلبث أن عقد

حاجبيه ، مغمغماً في تردد :

— كلاً .. هذا مستحيل تقريباً .

هتف (رمزي) في عصبية :

— أخبرنا أولاً ما هي تلك النقطة ، ثم نرى ما إذا كانت

مستحيلة أم لا .

تردد الدكتور (فؤاد) لحظة ، ثم قال :

— أهم شرط لعودتهما — لو أنهما مازالا على قيد

الحياة — هو أن يتواجدا في نفس النقطة ، التي انتقلا إليها ،

في ذلك البعد الآخر ، حينما نبدأ تشغيل الجهاز لاستعادتهما .

تبادل الجميع نظرات القلق عند هذه النقطة ، ثم غمغم

(رمزي) في حزم :

— فلنفترض أنهما سيكونان هناك .

تنهّد الدكتور (فؤاد) ، وهو يقول :

— لا يمكننا أن نقاتل من أجل الفراض .

أجابه (رمزي) في صرامة :

— ليس مجرد الفراض .. إن (نور) من أذكى رجال هذا

العصر ، وأبرعهم في فن الاستتاج ، و (سلوى) خبيرة في

الاتصالات والتبُّع ، وسيواصلان حتماً إلى ضرورة تواجدهما

في نفس النقطة ، حتى تتم استعادتهما .

قال الدكتور (فؤاد) في حزم :

— هذا وحده لا يكفي .

صاح به (رمزي) في غضب :

— ماذا تريد أيضاً ، بالإضافة إلى ذلك ؟

أجابه الدكتور (فؤاد) في جدّة :

— ليس المهم أن يستتجنا ذلك .. المهم أن يصلنا في الوقت

المناسب .

ثم اكسى صوته بالصرامة والغضب ، وهو يستطرد :

— كل ما ذكرناه ينبغي أن يتم في الوقت المناسب أيها

السادة ، فبعد ثلاثة أيام .. ثلاثة أيام فقط ، سيتداغى

جسداهما ، وتنهار تركيباتهما الخلوية ، ثم

عادت رثة الأسف إلى صوته ، وهو يردف :

— ثم نفقدتهما ... إلى الأبد ..

استعادت (سلوى) وعيها في بطاء ، وتأوّهت وهي

تغمغم :

— أين أنا ؟ .. (نور) .. أين أنت ؟

شعرت بكف زوجها تتحسّس جبينها في رفق وحنان ، وهو

يهمس :

— هنا يا عزيزتي .. إلى جوارك .

فتحت (سلوى) عينيها في بطاء ، وبدت لها الصورة مهتزة

لحظات ، ثم صفت الرؤية ، فوجدت نفسها ترقد على فراش

لين ، يجلس على طرفه زوجها (نور) ، داخل حجرة عتيقة

الطراز ، تتوسط الحائط المقابل لها فيها نافذتان واسعتان ،

فغمغمت في ألم :

— يا إلهي !! .. لقد رأيت كابوساً بشعاً في أثناء نومي

يا (نور) .. لقد حلمت أننا قد انتقلنا إلى بُعد آخر و

بترت عبارتها ، واتسعت عيناها في رُغب ، حينما أطلت من

النافذتين عينان ضخمتان ، كل منهما في حجم سيارة كبيرة ،
فتراجعت في دُعر ، وربّت (نور) على كُفها ، وهو يقول في
مرارة :

— إنه ليس كابوسًا يا عزيزتي .. إنها الحقيقة .

هتفت وهي تحدّق في زوج العيون المتطلّع إليها :

— ولكن الأثاث ، والفراش و

قاطعها في ضيق :

— مجرد نماذج دقيقة الصنع ، تلهو بها تلك الطفلة

العملاقة ، التي أسرتنا .. إننا الآن داخل منزل ذميتها .. مجرد

دُمى بشرية تلهو بها .

جحظت عينها في رُغب ، وهي تقول :

— مجرد دُمى؟! .. لعبة؟! .. أهذه هي النهاية؟

ظَلّ زوج العيون يتطلّع إليهما في شغف ومرح ، على حين

أجاب (نور) متجاهلاً إيّاه :

— من المؤلم أكثر أن هذا البُعد يتوافق مع أرضنا ، في القرن

الخامس عشر ، أو السادس عشر ، كما لاحظت من مشاهدتي

لما حولي ، وهذا يعني أننا لن نجد عقلاً واحداً يمكنه أن يستوعب

قصتنا .

فتحت الطفلة باب منزل ذميتها في تلك اللحظة ، وأطلّ
وجهها الضخم منه ، وهي تبسم ، وتحدّث بلغة غير مفهومة
في كوكب الأرض ، فتراجعت (سلوى) ، وهي تقول في
رُغب :

— ماذا تقول يا (نور) ؟

تنهّد (نور) ، وهو يقول في مرارة :

— لست أفهم حرفاً واحداً مما تقول يا (سلوى) ، ولكن

من الواضح أنها تحاول التودّد إلينا .

ثم أمسك يدها ، مستطرّداً :

— هيا .. سنحاول أن نتحدّث إليها .

قاومتها (سلوى) في خوف ، وهي تقول :

— وماذا لو سحقتنا؟

أجابها (نور) في هدوء :

— لا يوجد طفل واحد ، في العالم أجمع ، يمكنه أن يسحق

لُعبة نادرة مثلنا يا عزيزتي .

هتفت (سلوى) في استنكار ، وهي تبعه :

— لُعبة؟! ..!

ابتسم (نور) في مرارة ، وهو يقودها في صمت إلى خارج

منزل الذميمة ، ووقف الاثنان أمام الطفلة العملاقة ، التي
تطلعت إليهما في فرح طفل حصل على لعبة نادرة ، فأشار
(نور) إلى صدره ، قائلاً :

— أنا (نور) .

ثم أشار إلى (سلوى) ، مستطرداً :

— وهذه (سلوى) .

أدنت الطفلة العملاقة أذنها منيها ، وهي تستمع إليهما في
اهتمام ، ثم ابتسمت ، وأشارت إلى صدرها ، قائلة :

— (موريا) .. مينو (موريا) .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول :

— إنها طفلة ذكية .. لقد فهمت أن هذا هو اسم كل منا ،
وأجابتنا بذكر اسمها .

ثم ابتسم (نور) وهو يشير إلى الطفلة ، قائلاً :

— أنت (موريا) .

تهللت أسارير الطفلة ، حينما نطق (نور) اسمها ، وأشارت
إليه قائلة في فرح :

— (نور) .

ثم أشارت إلى (سلوى) ، مستطردة :

— (سلوى) .

غمغمت (سلوى) :

— إنها طفلة ذكية بالفعل .

وفجأة .. انطلقت صرخة قوية من خلف الطفلة ، بدت

لـ (نور) و (سلوى) كدوي انفجار قبلة هائلة ، حتى أنهما

سقطا أرضاً ، على حين ظهرت فجأة أم الطفلة ، التي بدت

أشبه بناطحة سحاب ، وهي تتطلع إليهما في دُعر ، وتجذب

ابتها بعيداً ، وهي تصرخ بكلمات غير مفهومة ، على حين

أخذت الطفلة تشير إليهما في غضب ، وهي تهتف بعبارات

اعتراضية ، استكارية ، ردّدت خلالها اسمي (نور)

و (سلوى) أكثر من مرة ، فغمغمت (سلوى) في رُغب ،

وهي تنهض بمعاونة (نور) :

— يبدو أننا قد أفرعنا أم الطفلة ، وأن الطفلة تحاول شرح

الأمر لأمها .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول في توثر :

— يبدو أن الأم تعتبرنا نوعاً من الجن أو العفاريت .

هتفت (سلوى) في استنكار :

— لا أحد يفكر على هذا النحو المتخلف يا (نور) .

أجابها (نور) في توثر :

٤ - قتال بلا أمل ..

تطلع الدكتور (عبد الله) ، رئيس قسم الأبحاث ، في إدارة المختبرات العلمية المصرية ، إلى تصميمات إطار الذبذبة المتغيرة في اهتمام ، ثم قال لـ (محمود) و (رمزي) في حماس :
- نعم .. يمكننا صنعه بالتأكيد ، وخلال أسبوع واحد على الأكثر .

أجابه (محمود) في حزم :

- كلاً يا دكتور (عبد الله) .. إننا نحتاج إليه خلال يومين فقط .

أطلت من عيني الدكتور (عبد الله) نظرة هلع ، وهو يهتف :

- يومان فقط؟! .. هذا مستحيل !

مال (رمزي) نحوه ، وهو يقول في حدة :

- يومان يا دكتور (عبد الله) ، وإلا تكن قد حكمت على

(نور) و (سلوى) بالإعدام ..

تضاعفت نظرة الهلع في عيني الدكتور (عبد الله) ، اللتين

اتسعتا في ذعر ، قبل أن يعقد حاجبيه ، مغمغماً في حزم

وصرامة :

- لا تُنسى أنه عصر متخلف بالفعل يا (سلوى) .
صمت الاثنان ، وهما يتطلعان إلى شجار الطفلة العملاقة مع أمها الهائلة ، قبل أن تعقد الأم حاجبها في غضب ، وتهتف باسم شخص ما ، فيقتحم الحجرة رجل عملاق ، اتسعت عيناه في ذعر وذ هول ، وهو يحدق في جسدي (نور) و (سلوى) ، على حين راحت الأم تشير إليهما ، وهي تهتف بكلمات ساخطة غاضبة ، حتى انعقد حاجبا العملاق ، واندفع يغادر الحجرة في عصبية ، فغمغمت (سلوى) في توثر :

- ماذا سيفعل يا (نور) ؟

جذبها (نور) وهو يتراجع إلى داخل منزل الدمية في توثر ، قائلاً :

- لست أدري يا (سلوى) ، ولكن من الواضح أنه يضمر لنا شراً و

وفجأة .. اندفع الرجل داخل الحجرة مرة أخرى ، وهو يحمل بندقية هائلة ، فصاح (نور) ، حينما رأى الرجل يصوب قوهة بندقيته نحوهما :

- اجري يا (سلوى) ..

وجذبها (نور) إليه في قوهة ، وهو يركض بأقصى سرعة ممكنة إلى داخل المنزل الخشبي ..

ثم دوى الطلق الناري ، وقوهة البندقية مصوبة إلى المنزل تماماً ...

— كلاً .. لا يوجد مستحيل ، مادام الأمر يتعلق
بـ (نور) و (سلوى) .

ثم ضغط زرّ جهاز الاتصال المجهّم ، المثبّت على مكتبه .
وهو يستطرد في حزم :

— فليتبّه الجميع .. لدى هنا تصميم معقّد ، لجهاز يحتاج
تصنيعه إلى أسبوع كامل في الظروف العادية .. ولكن ، لسبب
يتعلّق بحياة الرائد (نور الدين محمود) وزوجته (سلوى) ،
فمن الضروريّ أن ننجز هذا العمل في يومين فقط .. فما
رأيكم ؟

ظهرت على شاشته صورة رئيس القسم الهندسيّ ، وهو
يقول :

— سنفعل المستحيل من أجل الرائد (نور) وزوجته
ياسيدى .. وهذا ليس رأيي وحدي .. إنه رأي الجميع هنا .
ابتسم الدكتور (عبد الله) ، وهو يقول في سعادة :
— كنت أتوقّع هذا .

ثم استعاد لهجته الحازمة ، وهو يقول :

— حسناً .. ستوقف كل المشاريع الأخرى فوراً ،
وسيعمل الجميع لإنجاز هذا التصميم ، وسيكون العمل متصلاً ،
بلا توقّف .. بلا نوم .

ورفع عينيه إلى (رمزي) و (محمود) ، مستطردًا في
عزم :

— سننجز التصميم في الوقت المطلوب ، بإذن الله ..
وسنستعيد (نور) و (سلوى) .
* * *

أصابت طلقة البندقية منزل الدّمية ، وأطاحت بسقفه في
دويّ هائل ، على حين دفع (نور) (سلوى) أرضاً ، ليقبها
الشظايا المتطايرة ، ثم عاد يعاونها على النهوض ، وهو يهتف :
— بسرعة يا (سلوى) .. إن حياتنا تتوقّف على مدى
سرعتنا .

أجابته (سلوى) وهي تلهث :

— إن الخطوة الواحدة منهم تفوق عدوّنا لربع ساعة
كاملة .

حملها (نور) ، ودفعها عبر النافذة الخلفية للمنزل
الصغير ، وهو يهتف :

— هذا لا يغبني أن نستسلم .

قفز (نور) خلفها خارج منزل الدّمية ، في نفس اللحظة التي
أطلق فيها العملاق طلقة أخرى ، دوّت كالقنبلة ، وهي تطيح بجانب



وأطلق أشعته نحو سبابة العملاق ، الذي أطلق صرخ هائلة ، وتراجع في
ذعر ، وهو يحْدق في الجسدين الصغيرين في دهشة ...

المنزل الخشبي ، قبل أن يندفع العملاق نحوه ، ويزيح بقاياها
بضربة من يده الضخمة ، ثم يحْدق في جسدي (نور)
و (سلوى) في شراسة ، ويرفع فَوْهة بندقيته نحوهما ، فصاح
(نور) في زوجته في ذعر :

— انهضى يا (سلوى) .. انهضى قبل أن يقتلنا ذلك
الوحش ..

صاحت (سلوى) في رُعب ، وهي تتطلع إلى فَوْهة
البندقية ، التي بدت لها كمنمر هائل ضخم :

— لن ننجح يا (نور) .. إنها النهاية .. النهاية ..

اتسعت عينا (نور) في انفعال ، على حين هتف العملاق
بعبارة غاضبة ساخطة ، وبدأت سبأته الضخمة تضغط زناد
البندقية ..

لم يكن هناك مفر من الموت هذه المرة ..

ولم يكن هناك أمل في النجاة ..

وفي محاولة يائسة ، أخرج (نور) مسدسه الليزريَّ
الصغير ، وأطلق أشعته نحو سبابة العملاق ، الذي أطلق
صرخة هائلة ، وتراجع في ذعر ، وهو يحْدق في الجسدين
الصغيرين في دهشة ، فهتفت (سلوى) :

— أطلق على رأسه يا (نور) .. قتله هو الأمل الوحيد في نجاتنا .

صوب (نور) مسدسه الليزري نحو الرجل ، ولكنه لم يطلق أشعته ..

ملأت كراهيته للقتل والدمار نفسه في تلك اللحظة ، فتجمدت سبأته ، وعجز عن إطلاق أشعته على رأس رجل .. صحيح أنه قتل تلك الهرة ، التي كادت تفتك به وبزوجته ، إلا أن قتل رجل أمر يختلف .. يختلف كثيرا ..

وفي مرارة ، خفض (نور) مسدسه ، وهو يغمغم :

— لا يمكنني يا (سلوى) .. لا يمكنني أن أقتله هكذا . اتسعت عيناها في رُعب ، ثم ألقت جسدها أرضا ، واستسلمت للموت ..

وفي حذر ، عاد العملاق يصوب إليهما فوهة بندقيته الهائلة ، ويحكم تصويبها و

وفجأة .. اندفعت نحوهما (موريا) ، الطفلة العملاقة ، وحالت بجسدها الهائل بينهما وبين فوهة بندقية أبيها ، الذي رفع حاجبيه في دهشة ، ثم عاد يعقدهما في صرامة ، وهو يصيح

في وجهها بلهجة أمرة ، فلوحت بذراعيها في غضب ، وبكت في حرارة ، حتى خفض والدها فوهة بندقيته ، وهو يبدو قلقا مترددا ، فالتفت إليه زوجته ، وأخذت تتحدث إليه في اهتمام ، حتى تألقت عيناه جدلا ، ثم اندفع خارج الحجرة ، فنهضت (سلوى) ، وهي تقول في قلق :

— ماذا حدث ؟ .. هل سيأتي بقنبلة يدوية لنسفنا ؟

هز (نور) رأسه نفيا ، وهو يقول :

— كلاً بالتأكيد .. فمن الواضح أنهم لم يتوصلوا إلى

اختراع القنبلة اليدوية بعد ؛ إذ أن تلك البندقية ، التي استخدمها ضدنا ، من ذلك النوع الذي يُحشى بالبارود من فوهته وهي اختراع قديم و

قاطعته (سلوى) في جدّة :

— لسنا بصدد مناقشة تاريخ المخترعات يا (نور) .. إن

ما يقلقني الآن هو ما ينوي ذلك الوغد أن يفعله بنا .

أجابها (نور) في توثر :

— هذا في علم الله (سبحانه وتعالى) وخده يا عزيزتي .

لم يكذبتم عبارته ، حتى عاد العملاق إلى الحجرة فجأة ،

وهو يحمل سلة صغيرة ، ثم أزاح ابنته في خشونة ، وأمسك

(سلوى) ، وألقاها في عنف داخل السَّلَّة ، ثم عاد يمسك
(نور) ، الذى صاح به في غضب :

— أيها العملاق الوغد ..

ألقاه العملاق داخل السَّلَّة بلامبالاة ، فارتطم جسده
بقرارها اللين ، الذى وضع العملاق داخله وسادة حريرية
صغيرة ، ووجد زوجته في حالة هَلَع شديد ، تضاعف حينها
أغلق الرجل السَّلَّة في إحكام ، وصاحت في رُعب :

— (نور) .. إنه ينوى إغراقنا ، كما كانوا يفعلون بالفئران

قديمًا .

عقد حاجبيه ، وهو يتحسّس الوسادة الحريرية ، مغمغمًا :

— كلاً يا (سلوى) .. إنهم لا يضعون الفئران ، التى

ينوون إغراقها ، فوق وسادة حريرية .

سألته في دُغر :

— ماذا تظنه فاعلاً بنا إذن ؟

هزَّ رأسه في خيرة ، وهو يغمغم :

— أظنه سيحاول أن يربح بواسطة بعض المال ، عن طريق

عرضنا في سيرك ، أو ماشابه .

هتفت في ارتياح :

— يا إلهى !!.. هذا لا يختلف كثيرًا عما كانت تفعله بنا

ابنته .. إنهم ما زالوا يتعاملون معنا كحيوانات عجيبة .

بدأت السَّلَّة ترتجّ بهما في قوّة ، وتلقى جسديهما يمنةً

ويسرةً ، فعادت (سلوى) تهتف :

— يا إلهى !!.. هل يحاول قتلنا ؟

ضمّتها (نور) إلى صدره ؛ ليقبها الارتجاج الشديد ، وهو

يقول في اهتمام :

— لست أظن ذلك يا (سلوى) .. أنصتى .. إنه وقع

حوافر جواد .. إن العملاق يحملنا إلى مكان ما ، على صهوة

جواده .

أنصتت (سلوى) في اهتمام ، ثم قالت في خوف :

— السؤال هو إلى أين ؟ .. إلى أين يحملنا يا (نور) ؟

رَبَّت (نور) على ظهرها في حنان ، وهو يقول :

— دَعِينَا ننتظر ، حتى يأتى إلينا الجواب بنفسه

يا (سلوى) ، ما دام ليس لدينا ما نفعله .

ثم ابتسم ، وهو يستطرد :

— هل تعلمين أن هذا يذكرني بقصة (جليقر) .. للكاتب
البريطاني (جوناثان سويفت) (*) ؟ ..

دفنت (سلوى) جسدها في صدره ، وكأنها تبحث فيه عن
الدفء والأمان ، وهي تغمغم :

— كيف يمكنك أن تفكر في هذا الآن يا (نور) ؟

ابتسم (نور) في حنان ، وهو يجيبها في خفوت :

— مجرد محاولة لتضيئة الوقت يا عزيزتي ، بدلاً من
الاستسلام للرغب والفرع .

ابتسمت (سلوى) على الرغم منها ، وهي تغمغم :

— إنك زوج رائع يا (نور) .

تنهد (نور) ، ثم قال :

— هل تعلمين أنه من الممكن أن يكون (جوناثان
سويفت) قد التقى بأقزام من بعد آخر ، أوخوا إليه بقصته
الشهيرة ؟

(*) جوناثان سويفت (١٦٦٧ - ١٧٤٥) : أعظم كاتب
إنجليزي ساخر ، اشتهر بعلاقاته العاطفية المتعددة ، وله أعمال خالدة ،
مثل (مذكرات إلى ستيل) و (رحلات جليقر) ، والأخيرة من نوع
الأدب الخيالي ، حيث ينتقل خلالها (جليقر) من بلاد الأقزام إلى بلاد
العمالقة ، ومن جزيرة طائرة ، إلى أخرى تحكمها جياد ناطقة عاقلة .

هزت (سلوى) رأسها ، وهي تغمغم :

— يا لعقلك الذي لا يهدأ أبداً !

لاذ كلاهما بالصمت ، وهما يحاولان حفظ توازنهما ، مع
ذلك الارتجاج القوي ، حتى توقف الارتجاج فجأة ، وبدا
وكأن السلّة قد استقرت فوق سطح مستو ، قبل أن تميل
فجأة ، فينحدر جسدهما خارجها ، فوق منضدة ضخمة من
الرخام المصقول ..

وتراجعت (سلوى) في دُغر ، والتصقت بزوجها ، وهي
تحّدق في عشرات العيون العملاقة ، التي راحت تتطلع إليهما
في دهشة شديدة ، ثم أشار (نور) إلى عملاق يتوسط الجميع ،
ويتميز عنهم بلحية بيضاء كثة مهيبة ، وتاج من الذهب فوق
رأسه ، وغمغم في توثر :

— كان ينبغي أن أستتج ذلك .. إن ذلك العملاق الوغد
سيبعنا إلى هذا ..

تطلعت بدورها إلى الشخص الذي يشير إليه ، وغمغمت
في خوف :

— يا إلهي !! يا إلهي !! إنه .. إنه الملك .. ملك هذه
البلاد .. لقد أصبحنا ملكاً له .

وتفجرت الدموع من عينيها ، وهي تستطرد في ألم ومرارة :

— وهذا يعني أننا سنقضي عمرنا كله هنا ، ولن نعود إلى عالمنا
أبداً .. أبداً .

٥ - في البلاط الملكي ..

عشرات العيون العملاقة راحت تتطلع إلى (نور)
(سلوى) في دهشة وانبهار ..

عيون الملك والملكة ، ووصيفات الملكة ، ووزير أصلع
كثّ الحاجيين ، لم ترق نظراته أبدًا لـ (نور) ، الذي ضغط
كف زوجته ، وهو يقول :

— انتظري هنا يا (سلوى) .. إنها فرصتا ؛ لإثبات أننا
كائنات عاقلة .

ثم تركها ، واتجه نحو الملك ، فهتفت به في جزع :
— ماذا ستفعل ؟

أجابها (نور) في توثر :
— ما يفعله الجميع هنا ..

ثم انحنى أمام الملك ، الذي شهق في دهشة ، وكذلك فعلت
الملكة ووصيفاتها ، على حين عقد الوزير الأصلع حاجبيه في
شك ، والتفت إلى الملك ، يتحدث إليه في لهجة ثوجي بالقلق ،
فاستمع إليه الملك في اهتمام ، وهو يداعب لحيته الكثة بأصابعه
الضخمة ، ثم التفت إلى (نور) ، وقال كلمات لم يفهما هذا
الأخير ، فنهض ، وأشار إلى صدره ، وإلى زوجته ، مردّدًا :



ثم انحنى أمام الملك ، الذي شهق في دهشة ، وكذلك فعلت الملكة
ووصيفاتها ، على حين عقد الوزير الأصلع حاجبيه ..

— (نور) .. و (سلوى) .. أنا (نور) ، وهى (سلوى) .

عقد الملك حاجيه فى تفكير ، وتشبّث الملكة بذراعه فى لفه ، وهى تتحدّث فى حرارة ، وتشير إلى (نور) و (سلوى) فى شغف ، فإزداد انعقاد حاجيى الملك ، وأشار إلى وزيره ، الذى تألقت عيناه فى جدل وحشى ، وانحنى أمام الملك ، ثم ابتعد فى خطوات سريعة ، فهتفت (سلوى) :
— ماذا سيفعلون ؟

عقد (نور) حاجيه فى قلق ، وهو يقول :

— لست أدرى يا (سلوى) .. لست أدرى .

عاد الوزير الأصلع العملاق فى سرعة ، وهو يحمل وعاء زجاجياً ، وضعه فوق المائدة الرخامية ، ثم حمل (نور) فى رفق ، ووضعها داخل الوعاء ، وفعل المثل بـ (سلوى) ، التى غمغمت فى غضب وتوتر :

— هل سيحفظون بنا هنا ، كأسماك الزينة ؟

تلّفت (نور) حوله ، وهو يغمغم فى قلق :

— لست أدرى .

جاءها الجواب فى سرعة ، حينما وضع الوزير داخل الوعاء

عدّة أزرار مستديرة ، بدت لـ (نور) و (سلوى) كأقراص ضخمة ، ثم علّق قطعة صغيرة من الخبز أعلى الوعاء ، فهتفت (سلوى) فى استنكار :

— إنه اختبار ذكاء بدائى ، كنا نفعل مثله مع الفئران فى المدرسة .

زفر (نور) فى ضيق ، وقال وهو يتجه نحو الأزرار :

— يبدو أنه من الضرورى أن نتصرّف كفئران التجارب

يا (سلوى) ، حتى يمكننا أن نؤكد لأولئك القوم ذكاءنا .

غمغمت (سلوى) ، وهى تبعه فى حنق :

— يا للسخافة !!

ثم أخذت تعاونه فى رصّ الأقراص ، ووضعها فوق بعضها البعض ، حتى صنعا منها سلماً بدائياً ، راحا يصعدانه فى هدوء ، حتى التقطتا قطعة الخبز ، فشهب الملك فى دهشة ، وهلّلت أسارير الملكة ووصيفاتها فى سعادة ، على حين عقد الوزير حاجيه فى ضيق ، وتحدّث إلى الملك بكلمات منفعلة سريعة ، انعقد لها حاجبا الملك ، وارتسم لها الجزع على وجه الملكة ووصيفاتها ، فقالت (سلوى) فى توتر :

— هل سيدبجنا لأننا أذكاء ؟

أجابها (نور) في توثر مماثل :

— يبدو أننا قد أخطأنا بإظهار ذكائنا ، أو أنهم سيعرضوننا
لاختبار آخر ، يحمل الكثير من الخطورة .

عقدت حاجبها في قلق ، حينما رفع الوزير الأزرار خارج
الوعاء ، ثم أشار إلى أحد رجاله ، فتقدم حاملاً صندوقاً خشبياً
صغيراً ، ناوله للوزير ، الذي ابتسم ابتسامة شرسة متشفية ،
ثم فتح الصندوق ، وأفرغ محتوياته داخل الوعاء ..

وشهقت (سلوى) في رُعب ، واتسعت عينا (نور) في
توثر بالغ ، حينما هبطت تلك المحتويات داخل الوعاء ،
وراحت تحدق فيهما بعينين شرستين ..

وكانت هذه المحتويات عبارة عن فأر واحد ..

فأر رماديّ شرس ..

فأر وحشيّ بارز الأنياب ..

فأر في حجم جواد ناضج ..

« هل تظن أننا سننجح ؟ .. » ..

ألقى (محمود) هذا السؤال ، في مزيج من القلق والتردد ،

على الدكتور (عبد الله) ، الذي أجابه في حماس :

— بإذن الله .. لا تقلق .

ابتسم (محمود) ابتسامة حزينة ، وهو يفهم :

— ليس بمقدوري ألا أفعل .

رَبَّتْ الدكتور (عبد الله) على كفه في أُبُوَّة ، وهو يقول :

— من الواضح أنك تحب (نور) و (سلوى) للغاية .

أوماً (محمود) برأسه إيجاباً ، وهو يفهم في خفوت :

— إنهما ليسا مجرد صديقين .. إنهما رفيقا كفاح ومغامرة .

تنهَّد الدكتور (عبد الله) ، وهو يقول :

— اطمئنْ يا ولدي .. هذا هو شعور الجميع هنا ؛ بدليل

حماسهم الشديد للعمل ، وإنجاز ذلك الجهاز في وقت قياسي .

ثم عقد حاجبيه ، وهو يستطرد في اهتمام :

— ولكن ماذا لو لم ينجح (نور) و (سلوى) في

التواجد ، في الوقت المناسب ، والمكان المناسب ؟

صمت (محمود) لحظات ، ثم أجاب في حزم :

— لقد ناقشت (رمزي) في ذلك الاحتمال ، واستقر رأينا

على قرار حاسم .

وبدا الحزم في كل خلجة من خلجاته ، وهو يستطرد :

— في هذه الحالة ، سذهب نحن إليهما ، ونسعى بكل ما نملك لإعادتهما .

هتف الدكتور (عبد الله) في قلق :

— وماذا لو فشلتم جميعًا ؟

ارتسمت على شفتي (محمود) ابتسامة حزينة ، وهو

يجيب :

— ستعود الأمور إلى نصابها حينئذ ، وسيشترك الفريق كله

في مصير واحد ، فإما النجاة للجميع .. أو

صمت لحظة قصيرة ، ثم أردف :

— أو الموت للفريق كله .

قفز (نور) من مكانه في توتر ، ودفع زوجته خلفه في

سرعة ، وهو يحدق في عيني الفأر الضخم ، الذي راح يتطلع

إليهما في شراسة واضحة ، وقد رأى من حجميهما أنهما فريسة

سهلة ، فاقترب منهما في حذر ، وهو يبرز أنيابه الحادة ، ومخالبه

القائلة ..

وفي هدوء .. أخرج (نور) مسدسه الليزري ، وهو يقول

لزوجته :

— لا تتركي الرُّغب يسيطر على قلبك يا عزيزتي ، فعلى

الرغم من ضخامة ذلك الحيوان القدر ، إلا أنه لا يغدو كونه

فأرًا .

التصقت (سلوى) بظهره في رُغب ، وهي تفمغم :

— ومن قال لك إنني لا أخاف حتى الفئران الصغيرة ؟

رَبَّت على كفها في هدوء ، دون أن يعد عينيه عن الفأر

الضخم ، الذي تراجع في بطنه ، على نحو يؤكد استعداداه

للانقضاض عليهما ، وهنا أطلق (نور) أشعة مسدسه على عين

الفأر اليمنى مباشرة ..

وصرخ الفأر في ألم ، وهو يتراجع في دُغر ، وقد فقد عينه

اليمنى ، على حين شهق الملك ووزيره في دهشة ، وتبعتهما الملكة

ووصيفاتها ، وراحوا يتحدَّثون فيما بينهم في جَزَع ، ويشيرون

إلى (نور) و (سلوى) ..

وتجاهل (نور) ما يحدث فوقه ، وهو يركز بصره على الفأر

الضخم ، الذي أخذ يزجر في غضب ، ثم انقضَّ عليهما بغتة ،

فدفع (نور) (سلوى) بعيدًا ، وقفز جانبًا ، متفادياً مخالب

الفأر وأنيابه ، وأطلق أشعة مسدسه مرَّة أخرى على رأس

الحيوان العملاق ..

واخترقت الأشعة جمجمة الفأر الضخم ، ومزقت خلايا
مخه ، فصرخ في قوة ، وبدت صرخته مؤلمة لآذان (نور)
و (سلوى) ، قبل أن يسقط جثة هامدة ..

وتراجع الملك والوزير ، وتراجعت الملكة مع وصيفاتها في
دهشة ، ثم راخوا يتبادلون حديثاً عصياً متوتراً على حين
احضن (نور) زوجته ، التي راحت ترتجف بين ذراعيه ،
وهي تقول :

— (نور) .. لقد نجونا من الفأر ، ولكن هذا سيزيد من
قناعتهم بأننا من الجان أو العفاريت ، وربما عمدوا إلى حرقنا ،
للتخلص من شرورنا .

ضمها (نور) إلى صدره في حنان ، وهو يغمغم :

— دعينا نأمل ألا يفعلوا يا عزيزتي .

وفجأة .. أمسك الوزير (نور) بين سباته وإبهامه ،
وجذبه خارج الوعاء ، ثم انتزع منه مسدسه الليزري
بأظفريه ، وأعادته إلى الوعاء مرة أخرى ، ووضع المسدس في
راحتيه ، وأدناه من عيني الملك والملكة ، اللذين راحا يفحصان
المسدس الليزري في حذر ، وهما يتقلان بصريهما بينه وبين
(نور) و (سلوى) ، قبل أن يعقد الملك حاجبيه ، ويتحدث

مع وزيره في لهجة صارمة ، فتعرض الملكة في غضب واضح ،
ويتعالى صوتها ، الذي بدا في أذني (نور) و (سلوى) كهدير
عشرات الشلالات في آن واحد ، ودار النقاش طويلاً ، حتى
زفر الملك في ضيق ، وأوماً برأسه إيجاباً ، فهللت أسارير
الملكة ، وأشارت إلى وصيفاتها ، فأسرعن بخرجن الفأر
الصريع من الوعاء ، ثم يحملنه ، ويسرعن مبتعدات ، فهتفت
(سلوى) :

— هذا يوجي إلى أننا سننجو .

غمغم (نور) في ضيق :

— مؤقتاً .

ثم أردف في عصية :

— من الواضح أن الملكة قد نجحت في إقناع الملك

بالاحتفاظ بنا ، أو بمنحها إيانا ، وفي كلتا الحالتين سنصبح مجرد

حيوانين أليفين ، في البلاط الملكي .

جلست (سلوى) في قرار الوعاء ، وهي تغمغم في

استسلام :

— هذا أفضل من الموت حرقاً بالتأكيد .

مطاً (نور) شفثيه ، وهو يقول في حدة :

— لست أدري .. ربما كان الموت أفضل .

- يا إلهي !! .. إننا لن نغادر هذا المكان أبداً يا (نور) .
 وسالت العبرات من عينيها ، وهي تستطرد :
 — ولن نرى ابتسا (نشوى) مرةً أخرى .
 قاوم دموعه ، وهو يغمغم في مرارة :
 — إنه قدرنا يا (سلوى) .
 هتفت في سخط :
 — هل ستستسلم له ؟
 هز (نور) كفيه قائلاً :
 — وماذا يمكنني أن أفعل ؟
 ثم رفع عينيه إلى الوصيفات ، اللاتي أحطن بالمتضدة ، قبل
 أن يستطرد في مرارة :
 — إنه قدرنا ..

باسم

www.dvd4arab.com



تطلعت إليه (سلوى) بعينين حزينتين ، ثم أطرقت
 برأسها ، ولاذت بالصمت ، إلى أن وضعت الوصيفات الرعاء
 الزجاجي فوق منضدة رخامية أخرى ، تتوسط حجرة عتيقة
 النُراز ، فاخرة الأثاث والرياش ، ثم جاء رجل كهل ، أخذ
 يتنلّع إلى (نور) و (سلوى) في دهشة بالغة ، قبل أن يلتقط
 (سلوى) من داخل الرعاء ، ويضعها فوق المنضدة الرخامية
 في رفق ، ثم يبدأ في أخذ مقاييس جسدها ، ويفعل المثل مع
 (نور) ، ثم ينصرف والدهشة ما زالت تملأ ملامحه ..
 وأحاطت الوصيفات بالمنضدة الرخامية ، ورحن يتطلعن
 إلى (نور) و (سلوى) في سعادة ومرح ، ويلقون إليهما بقطع
 صغيرة من الخبز والفاكهة ، فصاحت (سلوى) في غضب :
 — أيتها الحقيرات .. إننا لسنا حيوانات تلهون بها .. إننا
 بشر مثلكم ، ولكننا من بُعد آخر .
 ابتسم (نور) في مرارة ، وهو يقول :
 — لن يمكنك إقناعهن يا (سلوى) ، إلا إذا انتظرت
 مائتي أو ثلاثمائة عام ، حتى يبلغن الحد المطلوب من التطور .
 شحب وجه (سلوى) ، وجلست قبل أن تفقد وعيها ،
 وهي تغمغم في ألم :

فَرَك الدكتور (عبد الله) عينيه في إرهاق واضح ، ثم عاد يتطَّلع إلى شاشة الكمبيوتر الكبير أمامه ، وهو يقول لـ (رمزي) و (محمود) :

— العمل يسير على ما يرام يا ولدي .. لقد أنجزنا حتى الآن ما يفوق نصف المطلوب ، على الرغم من أننا نعمل منذ عشرين ساعة فقط .

غمغم (رمزي) :

— لقد ضرب الجميع هنا أروع مثال للصدقة والتفاني يا سيدي .

ابتسم الدكتور (عبد الله) ابتسامة شاحبة ، وهو يغمغم :

— المهم أن يواصلوا على نفس المنوال يا ولدي .

ثم عاد يولي اهتمامه شطر الكمبيوتر ، على حين التفت (رمزي) إلى (محمود) ، الذي بدا واضح الإرهاق ، وقال :

— أليس من الأجدر أن تحصل على قدر من النوم

يا (محمود) ؟

أجابه (محمود) في حزم :

— كلاً .. لن أكون الوحيد الذي ينام هنا .

لم يجادل (رمزي) ، على الرغم من إحساسه بمدى الإرهاق الذي يشعر به (محمود) ، بل أوماً برأسه موافقاً ، ثم شرد ببصره بعيداً ، وهو يغمغم :

— هذا صحيح .. وَمَنْ يَذْرَى ؟ .. لعل الجميع يفترقون

إلى النوم .

وتنهَّد قبل أن يُردِّف في حُزن :

— هنا .. وفي البعد الآخر .

استلقى (نور) و (سلوى) فوق تلك الوسادة الحريرية

الزرقاء ، التي وضعتها لهما الملكة فوق المنضدة الرخامية ، قبل

أن تأوى إلى فراشها ، وحاول الاثنان أن يخلدا إلى النوم بعض

الوقت ، إلا أنهما عجزا عن ذلك تماماً ، فظلَّا مستيقظين ،

يحدِّقان في سقف حجرة الملكة ، الذي بدا وكأنه يرتفع إلى

مالانهاية ، قبل أن تهتف (سلوى) بغتة :

— يا إلهي !!

رفع (نور) رأسه عن الوسادة في جزع ، وهو يسألها في

توتُّر :

— ماذا هناك ؟

هبت (سلوى) جالسة بغتة ، والتفتت إليه ، وهي تهتف :

— (نور) .. هل تدرك ذلك المصير ، الذى ينتظرنا هنا ؟

أوما (نور) برأسه ، وهو يقول فى مرارة :

— تقريباً .

هتفت (سلوى) فى انفعال :

— كلاً يا (نور) .. لو أنك تقصد بقاءنا هنا كحيوانين

ألفين ، فأنت واهم .. إن الأمر أخطر من ذلك بكثير .

أجابها (نور) فى هدوء ، فجّر فى أعماقها دهشة كبيرة :

— ليس هذا ما أقصده يا (سلوى) ، وإنما أقصد انهيار

جسدنا ، ما لم نعد إلى عالمنا .. أليس هذا ما تقصدينه ؟

حدّقت فى وجهه بدهشة ، ثم هتفت :

— بلى .. إننى لم أبدأ فى دراسة الأمر منطقياً ، إلا بعد أن

أوت الملكة إلى فراشها ، وتركتنا وحدنا ، وكل الحقائق

العلمية ، التى توصلت إليها ، تؤكد ضرورة مغادرتنا هذا

العالم ، قبل أن تعجز خلايانا عن احتمال ذلك التغير فى ذبذبتها ،

فتفقد وحدة ترابطها ، وتنهار ، ونتلاشى نحن ، ونتحوّل إلى

دفقة من الطاقة ، ثم إلى عدم .



وحاول الإثنان أن يخلدا إلى النوم بعض الوقت ، إلا أنهما عجزا عن ذلك
تماماً ، فظلاً مستيقظين ..

جلس (نور) أمامها ، وهو يعقد حاجبيه في قلق ، ثم سألتها
في اهتمام :

— كم تبقى لنا في رأيك ، قبل أن يحدث هذا ؟
أجابته (سلوى) في توثر :

— لو أننا هنا منذ يوم واحد ، فهذا يعني أن أمامنا يومين
آخرين فحسب .

هتف (نور) في جزع :

— يا إلهي !!

ثم هبَّ واقفاً ، وهو يقول في إصرار :

— لا بدَّ من الهروب إذن يا (سلوى) .

هبت واقفة بدورها ، وهي تقول في انفعال :

— بالتأكيد .. فلو أن رفاقنا يحاولون إنقاذنا الآن ، فهم
يحتاجون إلى تواجدنا في نفس نقطة هبوطنا ، حيث يمكن إجراء

الاتصال ، وإعادةتنا إلى عالمنا .

تلقت (نور) حوله ، وهو يهتف في توثر :

— رباه !!... إننا لا نعلم أين كان موقعنا ، ولا كيف يمكننا

العودة إليه .

وعقد حاجبيه ، وهو يُردف في حزم :

— ولكن ينبغي أن نحاول .

ثم انحنى على الوسادة ، وأخذ يمزق حافتها في إصرار ،
فأسرعت (سلوى) تعاونه ، وهي تسأله :

— ماذا تنوي أن تفعل ؟

رفع (نور) عينيه إليها ، وهو يقول في إصرار :

— أحاول أن أثبت أن التلمة تكون أحيانا أكثر ذكاءً من

الفيل يا عزيزتي .

لم تفهم معنى عبارته بالضبط ، إلا أنها راحت تعاونه في

حماس وإصرار وحسم ، وقد انتعش الأمل في قلبها ..

الأمل في الفرار من أرض العمالقة ..

مضت ساعتان كاملتان ، قبل أن ينجح (نور)

و (سلوى) في نزع بعض خيوط الوسادة ، وربط أطرافها

بعضها ببعض ، على هيئة جبل طويل متصل ، ثم انتزع (نور)

دُبوساً صغيراً من طرف الوسادة ، وهو يشير إلى نافذة قرية ،

قائلاً :

— لو أننا نجحنا في تثبيت طرف الجبل في حافة النافذة ،

فستكون أولى خطوات لحظة الهروب قد نجحت .

ربط الدُّبوس في طرف الخيط في إحكام ، ثم أداره في قوّة ،
وألقاه نحو إطار النافذة ، إلا أن الدُّبوس لم يقطع المسافة كلها ،
وهوى في منتصفها ، جاذبًا الخيط ، فعاد (نور) يجذبه إليه ،
وكرّر محاولته مرّة ثانية ، فبلغ الدُّبوس إطار النافذة هذه المرّة ،
إلا أنه ارتطم بها ، وسقط أرضًا مرّة ثالثة ..
وفي صبر وإصرار ، استعاد (نور) الدُّبوس ، وأداره بكل
ما يملك من قوّة ، ثم ألقاه نحو الإطار .
وفي هذه المرّة التّف الدُّبوس حول الإطار ، وتعلّق به في
قوّة ، فأسرع (نور) يثبّت طرف الخيط في الوسادة ، ثم قال
لزوجته ..

— هيا .. سنعبّر أوّل جسر نحو الحرّيّة .

تعلّق كلاهما بالخيط ، بواسطة قبضتيه ، وراحا يدفعان
جسديهما إلى الأمام في إصرار ، وعلى الرغم من أن المسافة بين
المنضدة والنافذة ، لا تتجاوز المتر الواحد ، بمقاييس عالم
العمالقة ، إلا أنّها بدت لـ (نور) و (سلوى) وكأنّها
لا تنتهى ، حتى صارا على بعد سنتيمترات من النافذة ،
فتصلبت قبضة (سلوى) ، وهى تقول في ألم ويأس :
— لن يمكننى المضى يا (نور) .. إن ذراعى تكاد
تمزّق .. امض أنت في طريقك يا (نور) واتركنى .

صاح بها (نور) في توأثر :

— اصمدى يا (سلوى) .. ماهى إلا بضعة أمتار ونبليغ
الهدف .. اصمدى .

هتفت (سلوى) في يأس ومرارة :

— لقد حاولت يا (نور) .. وفشلت .. امض أنت ..

ثم سألت الدموع على وجنتيها ، وهى تستطرد في ألم :

— الوداع يا (نور) .. الوداع .

صاح (نور) في ذغر :

— كلاً يا (سلوى) .. كلاً .

ولكنها لم تعد قادرة على مواصلة التعلّق بالخيط ، فتركت
قبضتها الحبل ، وتركت جسدها يهوى في يأس واستسلام ..

لم يدر (نور) كيف أمكنه أن يفعل ذلك ، ولا كيف
استطاع أن يتحرّك بهذه السرعة ، أو يمتلك تلك القوّة ..
(سلوى) أيضاً أصابها الدّهول لما حدث ..

لقد تخلّت عن الخيط ، وتركت جسدها يهوى ، وهى تعلم
أنها ستحطّم على أرضيّة حجرة ملكة العمالقة ، إلا أنّها فوجئت
بجسدها يتوقّف بغتة ، ويرتجّ في قوّة ، فرفعت عينيها إلى أعلى

في دهشة ، ورأت (نور) يتشبَّث بالخيط بقبضة واحدة ،
ويتشبَّث بثوبها بالقبضة الأخرى ، لينعها من السقوط ..

لم تدر كيف فعل ذلك؟! ..

لقد كان يتقدَّمها بثلاثة أمتار على الأقل ، طبقًا للمقاييس
الأرضية ، حينما تركت جسدها يهوى ، فكيف عاد إليها ،
وأمسك بها بهذه السرعة؟ ..

وأفاقت من ذُهو لها على صوت (نور) ، وهو يهتف في
هاث :

— أمسكي بقدميَّ يا (سلوى) .. تشبَّثي بهما .

وبلا وعي ، وجدت نفسها تحيط قدميه بذراعها ،
وتشبَّث بهما في قوَّة ، على حين عاد هو يمسك الخيط بقبضتيه ،
ويدفع جسده إلى الأمام في قوَّة وإصرار ، حتى بلغ إطار
النافذة ، فتشبَّث به ، ودفع جسده إليه ، ثم عاون (سلوى)
لتصعد إلى الإطار بدورها ، وألقى جسده فوقه ، وهو يلهث
في قوَّة ، فسألته في ذهول :

— كيف فعلت ذلك؟

غمغم (نور) وهو يلهث :

— فعلت ماذا؟

هتفت وهي تشير إلى الخيط :

— كيف أمكنك أن تعود ، وتمسك بي بهذه السرعة؟

ابتسم (نور) وهو يجيب :

— لست أدري .. لعله الحُب .

ابتسمت في حنان ، ومسحت على رأسه في رقة ، وهي

تهمس :

— نعم .. إنه كذلك .

تبادلا نظرة ملؤها الحُب والحنان ، ثم نهض (نور) ،

قائلًا :

— فلنؤجل عواطفنا لما بعد يا زوجتي العزيزة .. فليس هذا

بالوقت أو المكان المناسب لها .

ثم راح يجذب الخيط في قوَّة ، حتى انتزعه من طرف
الوسادة ، وجمعه عند إطار النافذة ، ثم أدلاه من النافذة ، وهو
يغمغم :

— من حسن الحظ أن الملكة تعشق الزهور ، وتقيم في
الطابق الأرضي من القصر ، أمام الحديقة ، فلم يكن الخيط
ليكفي لهبوطنا من الطابق الثاني أبدًا .

ثم ابتسم في وجه (سلوى) ، مستطرذاً :

— وسأهبط أنا أولاً ، حتى يمكنني تلقفك حينما تقررين
السقوط هذه المرة .

ابتسمت (سلوى) ، وهي تقول :

— لن أفعل مرة أخرى أبداً .

انزلقا على الخيط إلى أسفل ، حيث استقرّا في حديقة
القصر ، وسط أعشابها ، التي بدت لهما كأشجار ضخمة ،
وقال (نور) :

— الآن تبدأ المرحلة الثانية من الهروب يا (سلوى) ،
فعلينا أن نعبر حديقة القصر ، حتى نبلغ بوابته ، ونغادره قبل
شروق الشمس .

انطلقا يعبران الحديقة ، التي بدت لهما كغابة ضخمة ،
بلا نهاية ، استغرق سيرهما فيها ساعة كاملة ، دون أن تلوح لهما
بؤابة القصر ، فاستوقفت (سلوى) (نور) ، وهي تقول في
إرهاق :

— مهلاً يا (نور) .. إنني أحتاج إلى بعض الراحة .

ضغط كفها في حنان ، وهو يقول :

— لا بأس يا عزيزتي .. سنجلس قليلاً ، ثم نواصل السير .

أقلت (سلوى) جسدها أرضاً ، وهي تقول :

— يا إلهي !! .. لكم أشعر بالضآلة في هذا العالم !

ابتسم (نور) قائلاً :

— كان من الضروري أن نخوض هذه التجربة ، حتى

ندرك حجمنا الطبيعي يا عزيزتي .

مطت شفيتها ، وهي تغمغم :

— كم تبدو قاسياً في بعض الأحيان يا (نور) !! ..

إنك

بترت عبارتها بغتة ، حينما صك مسامعها صوت زجاجة
حيوانية قويّة ، فقفزت واقفة على قدميها ، وأسرعت نحو
زوجها ، الذي شاركها التّخديق في جسم هائل ، يحدّق فيهما
بعينين مخيفتين ..

جسم كلب من كلاب القصر ..



٧ — غابة العمالقة ..

« هناك مشكلة يا (رمزي) .. مشكلة معقدة .. »
نطقت (مشيرة محفوظ) تلك العبارة في إحباط واضح ،
وهي تتحدث مع زوجها (رمزي) ، عبر جهاز التليفديو ،
فسألها هذا الأخير في توثر بالغ :

— آية مشكلة يا (مشيرة) ؟

أطرقت برأسها ، وهي تقول في مرارة :

— إننا نعجز عن معرفة الأضرار ، التي ضغطها الدكتور
(فؤاد) ، لاختيار البعد الذي ذهب إليه (نور)
و (سلوى) .

صاح (رمزي) في استنكار :

— ماذا ؟ .. هل فقدتم الشريط المسجل ؟

هزّت رأسها نفيًا ، وهي تقول :

— كلاً يا (رمزي) ، ولكن

قاطعها في ثورة :

— ولكن ماذا ؟ .. إنها حياة (نور) و (سلوى) .

غمغمت في عصبية :



وأسرعت نحو زوجها ، الذي شاركها التحديق في جسم هائل ، يحدق
فيهما بعينين مخيفتين .. جسم كلب من كلاب القصر ..

— إنا نبذل أقصى ما يمكننا يا (رمزي) ، ولكن عند إعادة مشاهدة البرنامج المسجل ، كان جند الدكتور (فؤاد) يجب نصف الأضرار تقريبًا ، وهو لا يذكر تلك الأضرار ، ولا أحد من العاملين أيضًا .

انهار (رمزي) فوق المقعد المقابل لجهاز التليفيديو ، وهو يردّد في ارتياح :

— يا إلهي ! .. مستحيل !

اتسعت عينا (محمود) في دُعر ، وهو يستمع إلى ذلك الحديث ، وهتف في هلع :

— مستحيل يا (رمزي) !.. لقد بذل العاملون هنا أقصى ما يمكنهم من جهد ، لصنع الجهاز في الوقت المناسب ، ولن نتخلّى عن (نور) و (سلوى) بعد كل هذا .
ظّل (رمزي) يردّد في ارتياح :

— مستحيل !.. مستحيل يا (محمود) !.. مستحيل يا (مشيرة) !

ثم زال عنه ارتياحه بغتة ، واكتست ملامحه بالصرامة ، وهو يقول في حزم :

— كلاً .. لن نتخلّى عن (نور) و (سلوى) .

ومال نحو شاشة جهاز التليفيديو ، وهو يستطرد في صلابة :

— اسمعيني يا (مشيرة) .. سأحضر إليك على الفور ، وسنستعرض معًا الشريط المسجل للحادثة ، وستوصّل إلى معرفة الأضرار ، حتى ولو قضينا ليلة كاملة في ذلك .

غمغمت في خيرة وقلق :

— كيف يا (رمزي) ؟.. لقد بذلنا كل ما يمكننا و

قاطعها في إصرار :

— ولكنكم لم تستعينوا بخبير في الطبّ النفسى بعد . هتفت (مشيرة) في مرارة :

— وماذا يفيد الطبّ النفسى في هذه الحالة ؟

نهض (رمزي) ، وهو يجيب في حزم :

— إنه سيعيد الأمور إلى نصابها يا (مشيرة) .. وسترين ما الذى يمكن أن يفعله الطبّ النفسى .

وتسلّلت نبرة عاطفيّة إلى صوته ، وهو يستطرد :

— من أجل (نور) و (سلوى) .

أطلّت نظرة وحشية شرسة من عيني كلب القصر الهائل الحجم ، وهو يتطلّع إلى (نور) و (سلوى) في خيرة ..

كان مرآهما يبعث في نفسه مزيجًا من التوثّر والشراسة
والخيرة ..

وكانت رائحتهما تضاعف هذا المزيج عشرات المرات ..
شكلهما ورائحتهما كانا يُؤكّدان أنهما بشريان ، ولكن
حجميهما كانا يُؤكّدان أنهما ليسا كذلك بالتأكيد ..

وهذه الخيرة جعلت الكلب يتسمّر في مكانه لحظات ، على
حين تراجع (نور) و (سلوى) في حذر ، واتجهت يد
(نور) نحو جيب سترته على نحو غريزي ، ليلتقط مسدّسه
الليزري ، ثم لم يلبث الحنق أن ملأ كيانه ، حينما تذكّر أن ذلك
الوزير الأصلع قد انتزعه منه ، فهتف في حدّة :

— هيا يا (سلوى) .. سنركض بأقصى ما يمكننا من
سرعة .

انطلقا يعضّوان وسط الأعشاب الضخمة ، ووقف الكلب
الهائل يراقبهما لحظات في حذر وتردّد ، ثم نبه في قوّة ، وبدا
نباحه كأنفجار ناطحة سحاب كاملة ، قبل أن يندفع نحوهما في
شراسة ، وقد حسم أمره ، وقرّر أنهما حيوانان ضارّان ، ينبغي
التخلّص منهما ..

وجذب (نور) زوجته بعيدًا ، ليتفاديا وثبة الكلب الهائل ،

الذي هبط أمامهما كفيل ضخّم ، ثم دار على عقبيه ليعرض
طريقهما ، ويواجههما في عنف وإصرار ..

وصاحت (سلوى) في ارتياح :

— إنه سيفترسنا يا (نور) .. سيفترسنا ..

صاح بها (نور) في توثّر بالغ :

— ساعتك يا (سلوى) .. استخدمى ساعتك

يا (سلوى) ..

تذكّرت (سلوى) ساعة يدها الخاصة في تلك اللحظة ،

وأدركت ما يعنيه (نور) ، فأسرعت تضغط زرًا جانبيًا في إطار

ساعتها ، فتوقّف الكلب فجأة ، ثم انطلق يغوي في ألم ، وتراجع

في دُغر ، ثم اندفع يعضّو مبتعدًا ، واختلط وقع عضّوه ، بغواء

عشرة كلاب أخرى ، في أنحاء متفرّقة من القصر ، وبصوت

(سلوى) ، وهي تهتف :

— يا إلهي !! .. من حسن الحظ أن تذكّرت ذلك

يا (نور) .. إن الموجة فوق الصوتية ، التي تطلقها ساعتى ،

غير مسموعة بالنسبة للبشر ، ولكنها مؤلمة لآذان الحيوانات ،

وخاصّة الكلاب ، نظرًا لحاسّة سمعها المرهفة .

جذبها من يدها ، وعادا يركضان معًا نحو أسوار القصر ،

وهو يقول :

— إنه توفيق من الله (سبحانه وتعالى) يا (سلوى) ..
لقد تذكّرت عبارة الدكتور (فؤاد) ، حينما كان يتحدث عن
الموجات فوق الصوتية ، وربطت ذلك بساعتك الخاصة ،
وبطبيعة حاسة السَّمع عند الكلاب و
بتر عبارته بغتة ، حينما لاحت له بؤابة القصر ، فصاح في
ظفر :

— هاهي ذى البؤابة يا (سلوى) .. لقد اقتربنا من نهاية
المرحلة الثانية من لحظة الهروب .

تضاعفت سرعتهما ، وهما يقتربان من البؤابة ، على حين
واصل الكلاب غواءهم في ألم ، وساد الاضطراب في حديقة
القصر ، بحثًا عن سبب غواء الكلاب ، وأضيت المشاعل ،
فهتف (نور) ب (سلوى) :

— أوقفى ساعتك يا (سلوى) ..
أسرعت ثوقف ساعتها ، على حين أطلت الملكة من نافذة
حجرتها ، وهي تصيح في ارتياح ، وتشير إلى المنضدة الرخامية
الخالية ، والحيط المعلق في نافذة حجرتها ، فصاحت (سلوى)
في دُغر :

— لقد كشفوا هروبنا يا (نور) .

هتف (نور) ، وهو يبحثها على مواصلة العُدو :
— فلنتظاهر بأننا لم نلاحظ ذلك يا (سلوى) ، فلست على
استعداد للتوقف ، مهما كانت الأسباب .
ولكن فجأة ارتجّت الأرض حولهما ، بوقع أقدام ضخمة
تغدو نحو البؤابة ، قبل أن يجمع أمامها خمسة من الحراس
الأشداء ، راخوا يحدقون في الأرض المحيطة بالبؤابة ، ويدنون
منها مشاغلهم في اهتمام ، فتوقف (نور) و (سلوى) ،
واختبأ خلف جذع شجرة هائلة الحجم ، وهما يلهثان من قرط
التعب والانفعال ، وهتفت (سلوى) :

— لن يمكننا الفرار يا (نور) .. إنهم يعترضون طريقنا .
تطلع (نور) حوله في قلق ، وهو يقول :
— ويبحثون عنا أيضًا يا (سلوى) ، وهذا أكثر خطورة .
ثم توقف بصره عند فتحة صغيرة ، أسفل الجذع الهائل ،
وقال :

— هاهي ذى الفائدة الوحيدة ، لكون المرء صغير
الحجم .. سنختفي في تلك الفجوة ، حتى يتهاونوا من البحث
عنا ، ويتصوّرون أننا قد نجحنا في الفرار بالفعل .
جذبها (نور) نحو الفجوة ، وهي تهتف في دُغر :

٨ - الوحوش ..

هزّ الدكتور (فؤاد) رأسه في يأس وأسف ، وهو يقول :
- لست أذكر شيئاً .. لقد حاولت ، وفشلت تماماً ..
ربّما لأننى اخترت ذلك البعد عشوائياً .

أجابه (رمزى) فى حزم :

- سنحاول مرّة أخرى ، بوسيلة جديدة .

هزّ الدكتور (فؤاد) رأسه فى أسف ، وهو يقول :

- لقد جرّبت كل الوسائل و

قاطعته (رمزى) فى صرامة :

- ما عدا واحدة .

سأله الدكتور (فؤاد) فى دهشة :

- ما هى ؟ ..

تجاهل (رمزى) سؤاله تماماً ، وهو يلتفت إلى (مشيرة)

قائلاً :

- هل يمكنكم إعادة البث ، مع إعطائى صورة واضحة ،

وبالحجم الطبيعى ، لجهاز الذبذبة المتغيرة ، قبل تحطيمه ؟

أجابته (مشيرة) ، وهى لا تدرى ما ينوى عمله بالضبط :

- ولكن هذا سيضيع منّا وقتاً ثميناً يا (نور) .. إن موعد

فناننا يقترب فى سرعة .

أجابها فى حزم :

- ليس أماننا سوى هذا يا (سلوى) ، وليفعل الله

(سبحانه وتعالى) بنا ما يشاء ..

اقتربا فى سرعة من الفجوة الصغيرة ، ولكن فجأة برز منها

مخلوق بشع ..

مخلوق أشبه بالتمساح .. أو وحوش ما قبل التاريخ ..

مخلوق اعتاد اصطيد فرائسه بلسانه الطويل اللزج ..

مخلوق لا نعيده أدنى اهتمام فى عالمنا ، حيث نطلق عليه اسماً

بسيطاً ..

اسم (السّحلية) ..



— بالتأكيد .

وألقت أوامرها إلى معاونيها ، فأعادوا بثّ الشريط
الطولوجرافي المسجل ، حتى توقّفوا عند صورة واضحة
للجهاز ، فقال (رمزي) في ارتياح :
— نعم .. هذا ما أريده بالضبط .

ثم أردف وهو يلتفت إلى الدكتور (فؤاد) :

— والآن حان دورك يا دكتور (فؤاد) .

هزّ الرجل رأسه ، قائلاً :

— لن تفيد تلك المحاولة يا بني .. إنني أحفظ الجهاز عن
ظهر قلب ، ولكن

قاطعته (رمزي) في صرامة :

— لا تعرض مسبقاً يا دكتور (فؤاد) ، إنني لن أطالبك

سوى بالتطلع إلى عينيّ .

وبحركة غريزية ، تطلع الدكتور (فؤاد) إلى عيني

(رمزي) ، وهو يغمغم في دهشة :

— لماذا ؟

خُيّل إليه أن عينيّ (رمزي) تزدادان اتساعاً ، وتتألقان

ببريق خافت ، وأنّ صوته قد صار أكثر عمقاً وبطناً ، وهو

يقول :

— لا تسأل يا دكتور (فؤاد) .. فقط تطلع إلى عينيّ .

إلى عينيّ .. إلى عينيّ .. إلى عينيّ ..

راحت الكلمة تتردّد في عقل الدكتور (فؤاد) ، في صدى

متراجع هامس ، وخُيّل إليه أن عينيّ (رمزي) قد تحوّلتا إلى

بئر عميقة ، واسعة ، سحيقة ..

وأنه يفورص بكيانه ، حتى الأعماق ..

وغمغمت (مشيرة) ، وهي تراقب ما يحدث في توّثر :

— (رمزي) .. إنك تخيفتي ..

التفت إليها (رمزي) في بطاء ، وأشار إلى الدكتور

(فؤاد) ، الذي بدا جامداً ، متحجّراً ، شارداً النظرات ،

وقال في هدوء :

— لماذا يا عزيزتي ؟ .. إنه مجرد تنويم مغناطيسيّ عاديّ .

غمغمت (مشيرة) في صوت مُضطرب :

— إنه يخيفني ذوماً .

تطلع إليها بعينين خاليتين من أيّة تعبيرات ، ثم التفت إلى

الدكتور (فؤاد) ، وقال في صوت هادئ عميق :

— اسمعني يا دكتور (فؤاد) .. إنك ستعود بذاكرتك إلى

تسع وعشرين ساعة خلت .. إنك الآن في قاعة التصوير

الكبرى ، بصحيفة (أبناء الفيديو) ، وها هو ذا جهازك
الجديد ، ولقد أثارتك (مشيرة) بقولها إن جهازك يشبه جهاز
بث هولوغرافي مجسم ، فانتابك الغضب .
غمغمت (مشيرة) في ضيق :

— ليس هذا ما حدث .. لقد سألته : أهذا هو الكشف
العظيم ؟ فثار وأسرع يضغط الأزرار عشوائياً .
استمع إليها (رمزي) في هدوء ، ثم قال للدكتور
(فؤاد) :

— أهذا هو ما حدث ؟

أجابه الدكتور (فؤاد) في شرود :

— نعم .

قال (رمزي) :

— ولقد ضغطت أنت على الأزرار عشوائياً .. هل تذكر

الآن ترتيب ضغطك لها ؟

أجابه الرجل في شرود النائم :

— نعم .

سأله (رمزي) في هفة :

— وبكل الدقة والتفاصيل ؟



— اسمعني يا دكتور (فؤاد) .. إنك ستعود بذاكرتك إلى تسع

وعشرين ساعة خلت ..

أجابه الذكور (فؤاد) :

— نعم .. بكل التفاصيل .

التفت (رمزي) إلى معاوي (مشيرة) ، وقال في

انفعال :

— استعدوا .. أريد صورًا واضحة جدًا للأضرار هذه

المرّة .

اتجهوا بآلات التصوير الهولوجرافية إلى الزوايا المناسبة ،

على حين عاد هو إلى الذكور (فؤاد) ، مستطرذا في حزم :

— حسنا يا ذكور (فؤاد) .. اضغط الآن نفس الأضرار ،

وبنفس التابع .

استدار الذكور (فؤاد) في آليّة نحو صورة جهازه ،

وضغط مواضع الأضرار في سرعة ودقّة وتتابع ، وحس الجميع

أنفاسهم وهو يفعل ، حتى عاد يقف ثابتًا ، فهتفت (مشيرة)

في ظفر :

— لقد نجحنا يا (رمزي) .. لقد حصلنا على الصُّور

المطلوبة .

زفر في ارتياح ، وهو يقول :

— حمدًا لله .. كل شيء يسير الآن على ما يرام ..

وعاد صوته يكتسب رئة الحزن ، وهو يردف :

— بقي أن نجد (نور) و (سلوى) .. على قيد الحياة ..

تراجعت (سلوى) أمام (السُّحليّة) الضخمة ، وهي

تصرخ في دُغر :

— النجدة يا (نور) !!

تحرك (نور) في سرعة ، ولكن لسان (السُّحليّة) الطويل

اللّزج كان أسرع منه ، فقد انطلق من حلقها فجأة ، وأحاط

بجسد (سلوى) ، ثم جذبها نحو (السُّحلية) في سرعة ،

فصرخ (نور) في ارتياح :

— كلاً .

وقفز نحو (السُّحلية) ، وراح يضرب وجهها بقبضته في

غضب ، وهو يصرخ :

— اتركها أيّها اللّعينة .. إننا لسنا حشرات لتبلمينا على هذا

النحو ..

تراجعت (السُّحلية) في حذر ، ولسانها مازال يحيط بجسد

(سلوى) ، التي راحت تقاتل وتناضل في قوّة ، ثم أدارت

(السُّحليّة) ذيلها فجأة ، ولطمت به (نور) ، فألقته بعيدًا ،

وجحظت عيناه في رُغب ، حينما رأى جسد (سلوى) يندفع نحو حلق (السُّحلية) ، الهائلة ، وصرخ في مرارة :
— لا .. ليس (سلوى) ..

وفجأة .. هبطت قدم عملاقة ، وسحقت جسد (السُّحلية) سحقًا ، قبل أن تبتلع (سلوى) ، ورأى (نور) كفاً هائلة تهبط من السماء ، وتلتقطه بسبابتها وإبهامها ، ثم تخلص (سلوى) من لسان (السُّحلية) ، وتحملها بدورها .. ثم ارتفعت الكف ، لتقرب من وجه أصلع عملاق .. وجه الوزير ، الذي يفضهما دون سبب واضح .. وصاح الوزير صيحة كادت تمزق طبلي أذنيهما ، ثم ابتسم في شماتة ، وأحاط به حراسه من كل جانب ، وتبعوه وهو يحمل (نور) و (سلوى) إلى داخل القصر ، فانهارت (سلوى) ، وهي تبكي قائلة :

— لقد فشلنا يا (نور) .. فشلنا بعد كل ما بذلناه .. إننا سنقضى نحبنا هنا ، في عالم العمالقة .

عض شفتيه في مرارة ، وهو يقول :

— مَنْ يدرى يا (سلوى) ؟ .. من يدرى ماذا يخبئ لنا الغد ؟

صاحت في انبهار :

— الموت .. الغد لن يحمل لنا سوى الموت .
وفجأة .. ألقاهما الوزير فوق المنضدة الرخامية ، في قاعة الملك ، الذي انحنى يتطلع إليهما في غضب ، والوزير يتحدث إليه بلهجة خطابية حماسية ، على حين راحت الملكة تبكي في حرارة ، ثم أوقف الملك وزيره بإشارة من يده ، وألقى عبارة ما بلهجة صارمة ، فتألفت عينا الوزير في شماتة ، وانحنى معلنا استجابته لأوامر مليكه ، على حين شهقت الملكة في ذعر ، وتطلعت إلى (نور) و (سلوى) في فزع ، ثم اندفعت مبتعدة ، وهي تجهش بالبكاء ، فغمغم (نور) في توثر :

— يبدو أن الأمر الملكي قد صدر بإعدامنا يا (سلوى) .

صاحت (سلوى) في رُغب هائل :

— إعدامنا !؟

وفجأة .. قبض عليهما الوزير في كفه ، واعتصر جسديهما في قوّة ، فصرخت (سلوى) :

— إنه سيقتلنا الآن يا (نور) .. الآن يا (نور) .

ثم فقدت وعيها ، فصرخ (نور) في غضب :

— أيها الحقير !!

ثم سقط بدوره في دوامة عميقة مظلمة ..

تنهّد الدكتور (عبد الله) في ارتياح ، وبدأ وجهه مشرقاً ،
على الرغم من أنه لم يخلق لحيته ، ولم يذُق طعم النوم منذ
ليلتين كاملتين ، وبدت ابتسامته مُرهقة مُنهكة ، وهو يقول
لـ (محمود) و (رمزي) :

— لقد انتهينا من صنع الجهاز ، ويمكنكما استخدامه
الآن ، لو أردتما .

تهلّلت أساريرهما ، وهتف (محمود) في حرارة :
— إنه عمل رائع ياسيّدى .. سيدين لك (نور)
و (سلوى) بحياتيهما .. بل لكم جميعاً في إدارة الأبحاث .

غمغم الدكتور (عبد الله) :

— المهم أن يعودا سالمين يابئى .

هتف (رمزي) في حماس :

— بإذن الله ياسيّدى .

ثم أشار إلى الإطار الجديد ، مستطرّداً :

— المهم أن ننقل الجهاز الجديد الآن إلى القاعة نفسها ،
التي حدث فيها الحادث ، وسنستعين بالشريط الهولوجرافى
المسجّل ، لنضعه في نفس الموضع بالضبط .

عقد الدكتور (عبد الله) حاجبيه ، وهو يسأله :

— أَمِنَ الضرورى أن يكون في نفس الموضع بالضبط ؟

تنهّد (رمزي) ، وهو يقول :

— إننا نحاول تلافى أى احتمال للخطأ يا دكتور

(عبد الله) ، وأية عوامل غير محسوبة ، مثل مجال الجاذبية

الأرضية ، والمغناطيسية ، وعشرات العوامل الأخرى المعقدة ..

فنحن لا نعلم مدى تأثير أى منها على اختيار البُعد ذاته ؛ لذا

فسنلتزم بنفس العوامل .

هزّ الدكتور (عبد الله) رأسه متفهّماً ، وهو يغمغم :

— نعم .. إننى أقدرُ ذلك .

وزفر في عمق ، قبل أن يرسم على شفّتيه ابتسامة باهتة ،

مستطرّداً :

— حسناً .. هيّا نبدأ العمل ، من أجل استعادة (نور)

و (سلوى) .

كانت الشمس تغمر المكان ، وتبعث حرارة شديدة ، حينما

استعاد (نور) و (سلوى) وعيهما .. ولم تمض لحظات ، حتى

ملاً ذلك الضجيج المحيط بهما أذنيهما ، ففتحا عيونهما ،

وفاجأهما جمع من العمالقة يحيط بهم من كل جانب ، وتبيّن لهما

أنهما مقيدان إلى كتلة خشية ، فوق منصة عالية ، بارتفاع
رغوس الحاضرين تقريبًا ، ودوى في آذانهما صوت الوزير ،
وهو يلقي خطبة حماسية على العمالقة ، الذين راخوا يصفون
إليه في اهتمام ، وهم ينقلون أبصارهم بين الحين والآخر إلى
(نور) و (سلوى) ..

وبين الحاضرين ، كانت تقف الطفلة العملاقة
(موريا) ..

وحدها كانت تبكي في جزن وألم ومرارة ، وهي تتطلع إلى
بطلينا في إشفاق ، فغمغمت (سلوى) :

— يا للطفلة المسكينة !.. إنها تذكرني بابتنا (نشوى) .

أجابها (نور) في سخرية مريرة :

— من الطبيعي أن تبكي يا عزيزتي ، فهم سيعدمون لعبتها

الأثيرة .

تمت (سلوى) في ألم :

— لا تكن قاسيًا هكذا يا (نور) .. إنها طفلة ذكية

حساسة .

هتف (نور) في حدة :

— حسنا .. سأحاول أن أتذكر ذلك ، في الدار الآخرة .

اتسعت عيناها في رُعب ، وهي تقول :

— (نور) .. هل تظن أنهم .. ؟

لم تكذ تُتمَّ عبارتها ، حتى استدار إليهما الوزير الأصلع ،
وتطلع إليهما في تشفٍ وسُخرية ، ثم رفع مشعله ، وأدنى النيران
من المنصة ، التي قيّدا فوقها ، فعقد (نور) حاجبيه في
غضب ، على حين صرخت (سلوى) في رُعب :

— إنهم سيحرقوننا يا (نور) .. سيحرقوننا أحياء ..

واشتعلت النيران في المنصة ..



دفع معاونو الدكتور (فؤاد) الجهاز الجديد ، تحت إرشاد طاقم التصوير ، ليتخذ نفس الموضع ، الذي كان يتخذه يوم الحادث ، وصاحت (مشيرة) في انفعال :
— استعدوا .. سنبدا البث على الهواء مباشرة .
عقد (رمزي) حاجبيه ، وهو يقول في جدّة :
— ليس هذا وقت تحقيق الخطّات الصحفية يا (مشيرة) .

هتفت في عصبية :

— ولم لا ؟ .. إننا لن نعترض محاولتكم ، ولقد شاهد جمهورنا بداية الأحداث ، ومن حقّه مشاهدة نهايتها .

صاح (رمزي) في غضب :

— إنه ليس فيلمًا سينمائيًا يا (مشيرة) .

بادلته صياحه الغاضب :

— وعمل ليس من شأنك أيضًا ..

رمقها بنظرة صارمة غاضبة ، وهو يهتف :

— إنك زوجتي .

صاحت (مشيرة) في جدّة :

— هذا لا يمنحك حقّ التّدخل في شئوني :

هتف (رمزي) في ثورة :

— هكذا !؟

أجابته في عناد :

— نعم .. هكذا .

ثم استطردت في جدّة :

— ثم إنك تريد أن تسترجع كل العوامل .. أليس كذلك ؟ .. حسنًا .. لقد كنا نبثّ البرنامج على الهواء مباشرة حينذاك .

تقافزت شياطين الغضب في وجهه ، وهو يقول في صرامة :

— حسنًا يا (مشيرة) .. افعل ما يحلو لك .

ثم استدار وابتعد عنها في غضب واضح ، فسمّرت في

مكانها لحظة ، ثم عادت تلتفت إلى معاونيها ، وتقول في حزم :

— ابدءوا البثّ .

لم تكد النيران تشتعل في المنصّة الصغيرة ، حتى شهقت (موريا) في دُعر ، ثم اندفعت فجأة تشقّ الصفوف ، وقفزت

تختطف جسد (نور) و (سلوى) من وسط النيران ، ثم
ضمتهما إلى جسدها ، وانطلقت تغدو مبتعدة ، بأقصى ماتملك
من سرعة ..

وتسمر العمالقة في أماكنهم لحظة ، من فرط المفاجأة ، ثم
ثارت نائرتهم فجأة ، فانطلقوا يتصايحون ويصرخون في
غضب ، ويغدون خلف الطفلة العمالقة ، على حين بلغ غضب
الوزير ذروته ، فراح يصرخ في جنون ، ويقفز في مكانه
كفوريلاً ضخمة ، وهو يشير نحو الصغيرة في ثورة ، فاندفع
رجالها يحاولون اللحاق بها ..

وهتفت (سلوى) ، وجسدها يرتج في قوة ، مع ركض
الطفلة :

— (نور) .. إننى لم أعُد أحمّل كل هذا القدر من
التوتر .

أجابها في لهفة :

— من يدري يا (سلوى) ؟. لعل في ذلك خيرنا ،
فلو سبقت (موريا) هؤلاء الوحوش ، واتجهت نحو منزلها
مباشرة ، فسكون قد بلغنا هدفاً على نحو غير متوقع .

هتفت (سلوى) في أمل :

— هل تعتقد ذلك ؟

غمغم (نور) في خفوت :

— أقول لو .

كان جسدهما يرتجان في قوة ، و (موريا) تغدو في
خوف ، عائدة إلى منزلها ، والعمالقة يركضون خلفها في ثورة
غاضبة ..

وفجأة .. تعثرت (موريا) ..

تعثرت عند مدخل منزلها بالضبط ..

وسقطت ..

ومن العجيب أنها في — أثناء سقوطها — قد بذلت جهداً
لتقى (نور) و (سلوى) صدمة السقوط ، إلا أن ذلك
الاندفاع المباغت ألقى (نور) و (سلوى) أرضاً ، وخلصهما
من قيودهما ، ورأيا عشرات العمالقة يركضون نحوهم من
بعيد ، فصاح (نور) :

— هاهى ذى الحديقة ، التى هبطنا فيها لأول مرة

يا (سلوى) .. أسرعى ، قد يمكننا أن ننجو .

انطلقا يغدوان إلى داخل الحديقة ، نحو حوض الزهور ، الذى

هبط عنده في البداية ، ومن خلفهما تصاعدت ضجة رهيبية ..

ضجة ثورة عمالقة ..

وهتفت (سلوى) ، وهى تغدو بأقصى ما يمكنها من
سرعة :

— لن ننجح يا (نور) .. لن ننجح أبداً .

صاح بها (نور) فى توثر :

— هيا يا (سلوى) .. إننا لن نتوقف ، بعد أن بلغنا هذا
الحد .. لقد أراد لنا الله (سبحانه وتعالى) أن نصل إلى هدفنا ،
ولعل مشيئته (عز وجل) أن ننجو .

لهتت (سلوى) فى قوة ، وهى تهتف :

— لن يمكنى .. لم أعد أستطيع ..

ثم تهاوت فجأة ، وقد عجزت تماماً عن متابعة العدو ،
فتوقفت (نور) ، وعاد إليها ، وهو يهتف :

— قاومى يا (سلوى) .. ها هو ذا حوض الزهور على قيد
متر واحد منا .

كانت تلهت فى عنف ، وقلبا ينبض فى شدة ، وهى تقول
فى يأس :

— لن يمكنى .. لن يمكنى أبداً .

رفع (نور) عينيه فى ارتياح إلى مدخل الحديقة ، حيث

يقف العمالقة ، ورأى أحدهم يشير نحوه ونحو (سلوى) ،
فتجه إليهم كل الأنظار الغاضبة ، ثم يندفعون نحوه فى ثورة ..
وبدا أنها النهاية هذه المرة ..

النهاية فى أرض العمالقة ..

وعلى بُعد خطوات من النجاة ..

فحص الدكتور (فؤاد) جهازه فى سرعة ، ثم ضغط
الأزرار بنفس التابع ، وهو يراقب شاشة تنقل إليه ما فعله ،
حينما كان تحت تأثير التويم المغناطيسى ، وابتعد بضع
خطوات ، وتعلقت عيون الجميع بفراغ الإطار ، الذى ظل
ساكناً لحظة ، ثم امتلأ بتلك الشرارات الكهربائية الصغيرة ،
التي تراقصت داخله لحظات ، ثم ظهرت فوقه نفس الصورة
المجسمة السابقة ..

صورة الزهرة العملاقة ..

وفجأة .. صاح (محمود) فى انفعال :

— انظروا .. ها هما ذان (نور) و (سلوى) و

بتر عبارته فى ذهول ، وهو يحدق فى العمالقة ، الذين

بشيرون نحوه (نور) و (سلوى) فى غضب ، وشاركه الجميع

ذُهلوه ، عَدا (مشيرة) ، التي هفت في انفعال :
— انقلوا آلات التصوير هناك .. انقلوا كل ما يحدث
داخل الإطار .

صاح (رمزي) في غضب :

— فلتذهب آلات التصوير إلى الجحيم .. إن (نور)
و (سلوى) يواجهان خطراً داهماً .. سيسحقهم هؤلاء
العمالقة بأقدامهم .

صاح (محمود) في انفعال :

— يبدو أن (سلوى) فاقدة الوعي .. إن (نور) يحاول
حملها .

كان المشهد يبدو لهم كما لو أن (نور) و (سلوى) على
بعد أمتار منهم ، و (نور) يحمل (سلوى) في جهد وسرعة ،
والعمالقة يندفعون نحوه ، غُبر الحديقة ، فصرخ (رمزي) ،
وهو يندفع نحو الإطار :

— سألحق بهما .

صاح به الدكتور (فؤاد) في دُغر :

— كلاً .. قد ينفجر الإطار فور عبورك إليهما ، فنفقد
ثلاثكم .

صرخ (رمزي) :

— لن نتركهما هكذا ..

وعلى الجانب الآخر ..

في ذلك البعد الآخر ..

حمل (نور) زوجته ، وراح يجرُّ أقدامه جرّاً نحو حوض
الزهور ، ولاحت له تلك الفجوة ، التي صنعها الإطار بين
العالمين ، فدفع جسده في قوّة ..

ولكن خطوة العمالقة كانت أعظم من غدوه ..

وبلغه العمالقة ، قبل أن يبلغ الفجوة ، والتفوا حوله وهم

يصرخون ويتصايحون ، وشقّ الوزير طريقه بينهم ، ووقف

يتطلّع إلى (نور) ، وهو يحمل زوجته ، في غضب وثورة ،

وصرخ بعبارة ساخطة ، ثم رفع قدمه ، وهبط بها ؛ لينسحق

(نور) وزوجته ..

ورأى الجميع هذا المشهد ، في عالمنا ، فصرخ (رمزي) :

— هلمّوا جميعاً .. ادفعوا الإطار نحو (نور) و (سلوى) .

لمح (نور) ذلك المشهد ..

لمح رفاق عالمه يهرعون نحو الإطار ، ويدفعونه حوله ..

لمح محاولة مستميتة لإنقاذه ..

وتدفق مزيج من الحماس والقوّة في أعماق (نور) ، أمام

ذلك المشهد ، فاندفع يَغْدُو نحو الفَجْوَة ، بكل ما يملك من
قوَّة ، متفادياً قدم الوزير ، التي هبطت على الأرض ، فهاج
الوزير وماج ، ودفع قدمه إلى الخلف ، ثم أطلقها نحو (نور)
و (سلوى) ، ليركلهما ركلة قاضية ..

وبدا المشهد كله — بالنسبة لـ (نور) — أشبه بلقطة تم
بالعرض البطيء ، في فيلم سينمائي ..

أو بكابوس بشع ، في ليلة مقفرة ممطرة ..

قدم الوزير العملاقة تندفع نحوه ، ونحو زوجته ..

هو يَغْدُو بأقصى سرعة ممكنة ..

رفاقه يدفعون الإطار نحوه ، في محاولة لاختصار الزمن

والمسافة ..

وقدم الوزير تقترب في سرعة ..

والفجوة تبدو وكأنها لا تقترب أبداً ..

ثم قفز (نور) ..

قفز وهو يحمل زوجته ..

قفز نحو الفجوة ..

نحو الحرِّيَّة ..

نحو عالمنا ..



رفاقه يدفعون الإطار نحوه ، في محاولة لاختصار الزمن والمسافة .. وقدم

الوزير تقترب في سرعة ..

١٠ - العودة إلى الأرض ..

أقسم الملايين ، من مشاهدي (أبناء الفيديو) ، أن ذلك
المشهد الحتامى ، الذى نقلته إليهم شاشاتهم المجسمة ، والذى
أصرت (مشيرة) على بثه على الهواء مباشرة ، لن يُمحى من
ذاكرتهم أبداً ، مهما طال بهم العمر ..
لقد رأوا (نور) يقفز عبر الإطار ، الذى تألق فى شدة ،
وتفاوت منه شرارات كهربية عنيفة ، و (نور) يحمل زوجته
وسطها ..

ورأوا (نور) و (سلوى) يتلويان فى ألم رهيب ، والأبيرة
تتساعد من ثيابهما ، ثم يهويان أرضاً .

ثم اندفعت قدم عملاقة عبر الإطار ، وسحقت جسد
الدكتور (فؤاد) سحقاً ، وأصابته (محمود) بضربة عنيفة ،
ألقت به إلى نهاية القاعة ، حيث ارتطم بجدارها فى قوة ، وسقط
فاقد الوعي ..

ولجأة .. انفجر الإطار ، وكأنما لم يحتمل عبور تلك القدم
العملاقة بماله ، وأطاح بـ (رمزى) إلى مسافة ثلاثة أمتار ،
فصرخت (مشيرة) فى دُعر ، ثم تراجع فى رُعب ، حينما

سقط النصف الأمامى من القدم العملاقة مبتوراً ، وسط قاعة
التصوير ، وانهمر منه نهر من الدماء ، حوّل نصف القاعة إلى
بركة حمراء كبيرة ..

وسقطت (مشيرة) فاقدة الوعي ..

وانتهى كل شيء ..

وتوقف البث ، بعد أن نقل إلى المشاهدين مشهد النهاية ..

نهاية أغرب رحلة فى تاريخ البشر ..

رحلة أرض العمالقة ..

انهمرت الدموع من عيني (نشوى) ، ابنة (نور)
و (سلوى) ، فى غزارة ، وهى تتطلع من خلف نافذة زجاجية
كبيرة ، إلى أبيها وأمها ، اللذين يرقدان داخل حجرة الرعاية
المركزة ، وقد أحاطت بكل منهما خيمة من البلاستيك المعقم
الشفاف ، اتصلت بها عدة أنابيب دقيقة ، وأحاطت بها أجهزة
معقدة مختلفة ، وغمغمت فى أسى :

— هل سيشفيان يا عمى (رمزى) ؟

قرت دمعة ساخنة من عيني (رمزى) ، وهو يربّت على

كف (نشوى) ، مغمغماً فى حزن :

— بالتأكيد يا صغيرتي .. يوما ما سيفيان بإذن الله .

غمغمت (نشوى) فى ألم :

— متى ؟

لم يحاول مقاومة عثراته ، وهى تسيل على وجنتيه ، وهو

يقول :

— الله (سبحانه وتعالى) وحده يعلم يا صغيرتي .. إن

الدكتور (عبد الله) ورجاله يبذلون أقصى جهدهم ، لدراسة
تأثير تغير الذبذبة على الجسم البشرى ، حتى يمكنهم كشف
علتها ، ومداواتها .

سأله وهى تبكى :

— وهل سيتم ذلك قريباً ؟

أوماً (رمزى) برأسه فى حزن ، وهو يداعب شعرها

الناعم ، مغمغماً فى حنان ، وإشفاق :

— نعم يا صغيرتي .. أقرب مما نتصور بإذن الله .

تصاعد من خلفهما وقع أقدام أنثوية تقترب ، وشعر

(رمزى) بيد توضع على كتفه ، وصوت يغمغم فى قلق :

— كيف حالك يا (رمزى) ؟

التفت فى ببطء ، يواجه (مشيرة) ، وهو يقول فى برود :

— فى خير حال ، لم أصب سوى ببضعة جروح فى الصدر

والكفين والجنبه ، وكلها جروح سطحية ، لا تشكل ضرراً ،

مع بضع كدمات ستزول قريباً بإذن الله .

غمغمت ، وهى تتحسّس وجهه فى حنان :

— هذا يسعدنى يا زوجى العزيز .

أزاح (رمزى) يدها فى خشونة ، وهو يستطرد :

— نسيت أن أخبرك أننى أسعد الجميع حظاً .. فـ (نور)

و (سلوى) فى غيبوبة مجهولة ، لا يعلم إلا الله (سبحانه

وتعالى) متى يخرجان منها ، و (محمود) تحطمت كل

أضلاعه ، وأصيب الفص السفلى من رئته اليمنى بتثك ،

وسيحْتَاج إلى عام كامل ، قبل أن يعود إلى حالته الطبيعية

و

قاطعه (مشيرة) فى مرارة :

— (رمزى) .. لماذا تصرّ على إيلاى ؟

صاح فجأة فى حدة :

— لماذا تصرّين أنت على إهمال مشاعر الجميع ، من أجل

نجاحك ، وتحقيقاتك الصحفية ؟

غمغمت فى ألم :

ثم أطرقت بوجهها في مرارة ، وبسالت غبراتهما على وجهها في
غزارة وصمت ، ثم استدارت وابتعدت عنه في ببطء ..
وران الصمت على رواق المستشفى كله ، إلا من وقع
أقدامها وهو تبعد .. وتبعد .. وتبعد ..
وخيّل إليها أنها تضاعل ، وتضغّر ..
وعلى الرغم من منصبها ونجاحها ، شعرت أنها قزّم ضئيل ،
في أرض ضخمة ..
قزّم في أرض العمالقة ..

باسم

www.dvd4arab.com

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع ٣٢١٥

— (رمزي) .. حاول أن تفهمني .. لقد كانت فرصة
نادرة ، ثم إنها لم تتسبّب في حدوث ما لم يكن من المحتمل
حدوثه ..
أشاح بوجهه عنها ، وهو يقول في صرامة :
— نعم .. لقد كانت فرصة نادرة ، ولقد حصلت عليها ..
أليس كذلك ؟
ثم عاد يلتفت إليها ، مستطرّداً في حدّة :
— لقد منحوك مكافأة جيّدة ، وشهادة تقدير أنيقة ..
أليس كذلك ؟

غمغمت والحزن يعتصر قلبها :

— (رمزي) .. إنني

قاطعها في صرامة ، وهو يشيح بوجهه عنها :

— إنَّ كلاً منّا لا يصلح للآخر يا (مشيرة) .

اتسعت عيناها في دُغر ، وهي تغمغم :

— ماذا تعني ؟

أجابها في حزم :

— أنت طالق يا (مشيرة) .

انتفض قلبها بين ضلوعها في قوّة ، وتطلّعت إليه في ذهول ،